الكَمَائِن الإسّلامية و دَورُهَا في العَمَلِيات العَسّكَرية ضِدَ الصلَيبِيين في الشَرْقِ اللَّاتِينـي (١٠٩٦-١١٩٣م/٤٨٩-٥٨٩هـ)(*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د. ياسر كامل محمود أحمد

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب– جامعة الوادي الجديد

الملخص:

يتناول البحث بالدراسة موضوع الكَمَائِن الإسلامية في الشرق اللاتيني ودورها في المعارك ضد الصليبيين، إذ أتاحت هذه الكمائن فُرصًا مُلائمة للقوات الإسلامية للإيقاع بالجيوش الصليبية، وكانت كثيرًا ما تنجح في مهمتها. هذا، ويُلقي البحث الضوء على أهمية الكمائن، والشروط الواجب توافرها في الكَمِين، وأساليب نصّبِها، وكيف حاول الصليبيون التصدي لها، وذلك لتقديم دراسة عن نموذج مهم من نماذج خدع الحرب العسكرية في الشرق اللاتيني خلال الفترة الممتدة منذ وصول الصليبيين لأراضي للشرق سنة ١٠٩٦م/٤٨٩هـ، وحتى وفاة صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٩٣م/٥٨٩هـ.

الكلمات المفتاحية: الكمائن – العمليات الإسلامية – الصليبيون – الشرق اللاتيني – الحروب الصليبية

Islamic Ambushes and their Role in Military Operations against the Crusaders in the Orient Latin (1096-1193 AD / 489-589 AH)

Abstract:

This research tackles the subject of Islamic ambushes in the Orient Latin and their role in the battles against the Crusaders. Where

(*) مجلة "وقائع تاريخية" العدد (٣٦)، يناير ٢٠٢٢.

these ambushes provided suitable opportunities for the Islamic forces to entrap the Crusader armies, whose often succeeded in their mission. The research sheds light on the importance of ambushes, the conditions that must be met in the ambush, the methods of setting them, and how the Crusaders tried to confront them, in order to present a study on an important model of military war deceptions in the Orient Latin during the period since the arrival of the Crusaders to the lands of the Islamic East in 1096 AD. / 489 AH, until death of Salah al-Din al-Ayyubi in 1193 AD /589 AH.

Keywords: Ambushes - Military Operations – Crusaders – Orient Latin – Crusades.

المقدمة

فَرَضَ الصراع الصليبي الإسلامي على المسلمين حرب استنزاف طويلة ومُعَقَدة، استلزم معه استخدام المسلمين لما يُعرف بحرب الفِرَق المُقاتِلَة المُنَظَّمة، أو ما يُطلق عليه في العسكرية الحديثة وحدة القوات الخاصة، أو وحدة الكمين.

والواقع أنَّ الكمائن تُعد من تدابير الحرب المشروعة، وقد استخدمتها شعوب كثيرة باعتبارها واحدة من أهم أساليب الخدع العسكرية، فهي أسلوب قتالي يهدف إلى إحداث نوع من المُباغتة (المفاجأة)، باستخدام أقل قدر من القوات والوسائل المُستخدمة، لتحقيق النصر على عدو أكثر تفوقًا في العدد والعدة في أقصر وقت ممكن، وبأقل خسائر ممكنة. ونظرًا لأهميتها؛ فقد استخدمها المسلمون في عملياتهم العسكرية ضد الصليبيين في الشرق اللاتيني، فكان لها دور مهم في التأثير على نتائج المعارك الإسلامية– الصليبية في كثير من الأحيان.

أما عن حظ الموضوع من الدراسة، فالواقع أن مكتبة العصور الوسطى أنتجت بعض الدراسات التي تناولت فن الحرب في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية بصفة عامة، منها على سبيل المثال دراسة سْمَيل ر. سي[١]. Smail R. C. بعنوان: "فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر ١٠٩٧–١١٩٣م"، ودراسة ابراهيم خميس سلامه[٢] بعنوان: "الحيل والخدع العسكرية الإسلامية منذ بداية الغزو الصليبي حتى وفاة نور الدين محمود (١٠٩٨–١١٧٤م/٤٩٤–٥٦٩هـ)، وكذلك دراسة بسَّام العَسَلي[٣] بعنوان "فن الحرب

الإسلامي أيام الحروب الصليبية"، وأطروحة ماجستير للباحث السعودي محمد يوسف بن نصرة الله[٤] عن"الاستراتيجية العسكرية الإسلامية ضد الصليبيين حتى نهاية العصر الأيوبي"، وأيضًا دراسة الجزائري كمال بن مارس[٥] عن أساليب القتال الإسلامية–الصليبية، ودراسة آمال حامد زيّان[٦]: "الحيل الحربية والتكتيك العسكري زمن السلطان نور الدين محمود: حصن حارم نموذجًا".

وبرغم تعدد هذه الدراسات وتميزها، إلا أنها لم تعالج موضوع الكمائن معالجة مستقلة، وإنما جاء الحديث عنها ضمن تناول فن الحرب عند المسلمين والصليبيين. فعلى سبيل المثال، لم يعر سميل موضوع الكمائن أهمية خاصة، بل اعتبر أسلوب الحرب من خلال الكمائن أسلوبًا غير ذي جدوى. أما الدراسة المتميزة لإبراهيم خميس فلم تتناول موضوع الكمائن إلا في ثلاث ورقات فحسب ضمن الحديث عن الحيل والخدع العسكرية الإسلامية عهد نور الدين محمود. كذلك فإن دراستيّ محمد يوسف بن نصره، وكمال بن مارس لم تتناولا الموضوع بصورة مستقلة، والأمر ذاته ينطبق على كل من دراستيّ آمال حامد زيّان، وبسَّام العَسَلي، وبالتالي فإن الموضوع بحاجة إلى دراسة متأنية متخصصة مستقلة من خلال الاعتماد على المصادر العربية واللاتينية والسريانية والأرمنية، وكذلك مناقشة تصورات الباحثين المحدثين الذي كتبوا عن فن الحرب بصفة عامة.

هذا؛ وتفرض فكرة الدراسة تقسيمها إلى عدة مَحاور، أولها، التعريف بالكمين لغةً واصطلاحًا، ثم الحديث عن الشروط الواجب توافرها عند نصب الكمين، لإنجاح عملية الكمن، وكذلك طرق وأساليب نصب الكمين، والهدف من استخدامه، ومدى تأثير تلك الكمائن على مجريات بعض المعارك التي جرت بين الطرفين الإسلامي والصليبي. وكيفية تصدى الصليبيين لهذه الكمائن.

وأود هنا التنويه إلى أن موضوع الدراسة سوف يقتصر على الكمائن الإسلامية التي نصبها المسلمون للصليبيين وليس العكس، وذلك لإبراز مدى أهمية هذه الكمائن في حركة الجهاد الإسلامي. أما موضوع الكمائن التي نصبها الصليبيون للمسلمين فهذه تحتاج إلى دراسة أخرى مستقلة.

الكمين لغةً واصطلاحًا

يُقال كَمَنَ الشخص في المكان كُمونًا، أي توارى واستخفى في مَكمنٍ لا يفطن له أحد، ويقال كَمِنَ لعدُوه، أي ترصَّد له واختفى في مكمن، أو مخبأ يرقُب مروره؛ ليهاجمه على حين غفلة، ومنه سُميّ الكمين في الحرب، والجمع كَمَائِن[٧]. أما الكمين اصطلاحًا: فهو اختفاء مجموعة قتالية في مكان مناسب عن أنظار العدو، وترصدها لهدف معادي، لضرب عدو في توقيت لا يتوقعه، وذلك لتدمير قواته، أو لأسر عدد من أفراده، أو لمنع وصوله إلى الأماكن الحيوية المُهِمة[٨].

الأسس والقواعد التي يجب مراعاتها عند نصب الكمائن

الجدير بالذكر أن المسلمين استخدموا الكمائن ضد الصليبيين بكثرة، خاصة خلال فترة الحملات الصليبية الثلاث الأولى. فعلى مدار تلك الحملات ما كانت تخلوا معركة من كمين، وذلك للتَرَبُص بالقوات الصليبية والانقضاض عليها، وإنزال أكبر الضرر والهزائم بها. وتجدر الإشارة إلى أن فن استخدام الكمائن استلزم مجموعة من الأسس والقواعد التي يجب مُراعاتها عند نصب الكمين، من تلك القواعد، اختيار جُند الكمين، وكذلك اختيار خيولهم وأسلحتهم، فضلًا عن مكان الكمين، وما يجب عمله عند بدء الكمين[٩]، وسوف يلقي الباحث الضوء على هذه الأسس.

لقد فصَّل مصنفو كتب أصول الحرب في ذكر الصفات الواجب توافرها عند اختيار جند الكمين، فيذكر الأوسي، أن على رجال الكمين أن يكونوا من أشجع فرسان العسكر، وأكثرهم دراية بشئون الحرب، وأن يكونوا بارعين في ركوب الخيل، مدربين على فنون القتال خير تدريب، وعلى دراية تامة بالدروب والمسالك في منطقة القتال، ولديهم بعض المعرفة بشؤون البيطرة، كي يكونوا قادرين على علاج الخيل حين تدعو الضرورة إلى ذلك، كما يجب أن يتحلى الكُمناء بالصبر والجلد في السير على الأقدام، وأن يكونوا أعرف الفرسان بالتجارب؛ ذلك لأنهم ينفردون عن العسكر، ويكونون في مكان ليس لهم فيه منْ يعينهم ولا ينجدهم، ليتحقق الغرض الذي من أجله تم نصب الكمين[١٠]. ويقول بكتوت الرّماح: "إن على الفارس المُنتَخَب للكمين أن يكون مُقدامًا جريئًا

في الأهوال، راكبًا لا شغف له، ولا علة به، متيقظًا ليس بنؤوم، ولا عند السهر بخوار، ولا البليد قلبًا، ولا بالكليل طرفًا، سموعًا لوقع الجرس وإن كان خفيفًا، نهوضًا عند وقت المناداة والشدة، لا كسل به ولا لعاعة ولا فشل"(١١).

على أية حال، فإن هذه الأوصاف، توضح بجلاء كيف كان جنود الكمين يُختارون بدقة من بين أفضل الجنود شجاعة، وأعلاهم مرتبة، وأقواهم قلبًا، وأكثرهم ذكاءً، وذلك لأنه كان يوكل إليهم بعمل عسكري خطير أشبه ما يكون حاليًا بعمل الفرق العسكرية الخاصة.

لم يكن جُند الكمين وحدهم موضع اختيار قادة الجيش الإسلامي، بل كانت الخيول المشاركة في الكمين موضع الاختيار أيضًا. فكان يجب أن تُختار خيول سليمة ليس بها علة، وأن تكون ثابتة الحوافر، خفيفة الحركة، وتُختار جميعها إما من الذكور أو من الإناث، إذ أن اجتماع ذكور الخيل مع إناثه يثير ضوضاء تُنبّه الأعداء فيؤدي ذلك إلى كشف أمر الكمين، وإلحاق الضرر بجميع الكُمناء(١٢)، كذلك ألا يكون في تلك الخيول من الخُلُق ما يُستَدل به على الكمين مثل الصهيل ونحوه(١٣).

أما عن الأسلحة، فكان يجب حفظ غالبيتها في جِعَاب، أو حقائب جلدية حتى لا تُحدث خشخشة، أو أصوات يستدل منها الأعداء على مكان الكمين(١٤)، كما كان يُفضّل استخدام أسلحة خفيفة كالنشاب والسهام والسيوف وغيرها(١٥).

وعن مكان الكمين، فكان يجب دراسة موقعه بشكلٍ جيد قبل نصب الكمين فيه، إذ يُفضل أن يكون خفيًا مستترًا، بحيث تتوفر فيه الحماية والتخفي والمناورة، وأن يكون مما يحتمل الإقامة فيه إذا دعت الحاجة إلى طول الإقامة، بأن يكون متوفر به الماء، والمرعى، وسائر ما يحتاج إليه أفراد الكمين قدر الإمكان(١٦). كما كان يُوضع في الاعتبار اختيار مكان مناسب يُلائم طبيعة المعركة، بحيث يؤمن للكُمناء تحقيق عنصر المفاجأة والمباغتة، كما يؤمن لهم عملية الانسحاب بعد اتمام المهمة بنجاح.

ومن المُلاحظ أن المسلمين اختاروا أماكن الأكمنة بعناية وفق الشروط السالف ذكرها، فكمنوا للصليبيين بالقرب من الجبال(١٧)، والشعاب الضيقة(١٨)،

والغابات[١٩]، والأحراش والمستنقعات[٢٠]، وعند الجسور، وبالقرب من الأنهار[٢١]، وغيرها من الأماكن التي كانت تصلح للكمن كما سيتضح لاحقًا.

لكن ماذا عن تَشّكيل قوة الكمين؟. الواقع أنه يمكن من خلال الإشارات التي وردت في بطون المصادر المعاصرة تقسيم قوة الكمين إلى الآتي:

- قائد أو مُقَدَم الكمين، ويكون على دراية عالية بأمور الحرب، وعالم بأحوال الأماكن الصالحة للكمن[٢٢].
- وحدة اليَزَك[٢٣] (الاستطلاع)، وهم عبارة عن مجموعة من الأفراد قليلة العدد، تشكل جزءًا من نظام العيون والجواسيس، حيث تقوم بمهمة استطلاع مكان الكمين، ورصد الهدف، وتحديد عدده وعدته، وعند اقترابه، تقوم مجموعة الاستطلاع بإبلاغ قائد الكمين، وهو بدوره يُبلّغ مجموعة الهجوم والإغارة[٢٤].
- مجموعة الهجوم: تُعَد هذه المجموعة أساس الكمين، وتتكون من مجموعة من الفرسان يتم تسّليحهم تسّليح خفيف (نشاب، سهام، سيوف، رماح) [٢٥]، ومن المُتَصَّوَر أن مجموعة الهجوم كانت تتلقى المعلومات من مجموعة الاستطلاع، وعلى أثرها يتم الهجوم على الهدف حسب الخطة الموضوعة والمتفق عليها بين أفراد الكمين، والراجح أن مجموعة الاستطلاع كانت تشارك فى الهجوم أيضًا.
- مجموعة التأمين: يتركز هدف هذه المجموعة في تأمين مجموعة الهجوم والاستطلاع وقت الهجوم على الهدف، وحمايتهم من أي هجوم مضاد من مجموعة ما معادية، وتقوم بتأمين الانسحاب لأفراد الكمين بعد انتهاء المهمة[٢٦].

ما يجب على الكمناء عمله عند بدء الكمين

إن أول ما يجب على الكمناء عمله هو أن يختاروا من بينهم رجلًا ممنْ يوثق بهم، ويتحقق بنصيحتهم، وتكون مهمته رصد تحركات الأعداء والإبلاغ، وعلى المُكمنين أن يتجنبوا الحيوانات أو الطيور، حتى لا ينتج عنه فزع للحيوان والطير؛ فينكشف أمر الكمين للعدو، ويتعين بأن يكون وقت ظهور الكمين في حال غفلة الأعداء، وذلك عند حطهم عن دوابهم وإراحتها، ويختاروا الأوقات

المناسبة كأحر ساعة في الصيف، وأبردها في الشتاء، أو أول ضوء للنهار أو بداية حلول الظلام ليلًا، وإذا لم يظفروا بمباغته الأعداء، فعليهم الإسراع بالعودة إلى مكمنهم (٢٧). مع الوضع في الحسبان ضرورة الحفاظ على سِرّية المهمة، وسِرّية تحركات طاقم الكمين.

الهدف من نصب الكمائن

ذهب المؤرخ العسكري –للحروب الصليبية– سميل إلى التقليل من أهمية وتأثير الكمائن، وعدم فاعليتها في معارك الحروب الصليبية، مشيرًا إلى أن أسلوب الكمائن في الحرب الصليبية لم تلعب دورًا فاعلًا في حسم المعارك، وأضاف أن تحقيق نتيجة عسكرية حاسمة كان لا يتم إلا في ميدان المعركة، وذلك عن طريق القتال والالتحام وجها لوجه وليس عن طريق الكمائن، ووافقه في ذلك كمال بن مارس (٢٨)، لكن الباحث يختلف مع وجهة النظر تلك. فالحقيقة أن الكمائن التي نصبها المسلمون للقوات الصليبية كانت لها قيمة عسكرية كبرى خلال الفترة قيد البحث، حيث حققت أهدافًا استراتيجية عديدة، كما عانى الصليبيون منها معاناة كبيرة، وذلك باعتراف مؤرخيهم ورحالتهم أنفسهم.

فقد اعترف المؤرخ المجهول صاحب كتاب الجيستا بصعوبة هذه الكمائن بقوله: "لم يكن الأتراك المسلمون يتربصون لنا من ناحية واحدة، بل كنا نجدهم يكمنون في كل الجهات، فتارة يكمنون لنا في طريقنا إلى البحر، وتارة أخرى نصادفهم في طريقنا إلى الجبل، وقد أضرت بنا تلك الكمائن بالغ الضرر" (٢٩).

كما راح فوشيه الشارتري يُعدد الخسائر الفادحة التى لَحِقَتْ بهم جراء الكمائن الإسلامية، فتحدث عن أعداد كبيرة من الصليبيين لقوا حتفهم على أيدي المسلمين الذين كانوا يكمنون عند الممرات الضيقة على طول الطُرق، فضلًا عن وقوع أعداد كبيرة من الصليبيين في الأسر أثناء خروجهم للبحث عن الطعام والمرعى، وبسبب تلك الكمائن أيضًا صار فرسان كُثُر جنودًا مشاة بعد أن فقدوا خيولهم (٣٠).

كذلك عبَّر المؤرخ وليم الصوري عن هذا النوع من الحروب واصفًا إياها بالحرب الخاطفة التي لم يكن الصليبيون يألفونها، مشيرًا إلى أن هذ الكمائن

الإسلامية كان يصادفها دومًا النجاح [٣١].

وليس أدلّ على أهمية تلك الكمائن من التقرير الذي رفعه الكونت ستيفن كونت شارترز Stephen count de Chartres إلى الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين Alexios Comnenos (١٠٨١-١١١٨م)[٣٢]، وفيه اعترف الكونت بالمتاعب الجمة التي تعرض لها الصليبيون جراء تلك الكمائن، حتى خلت مدينة أنطاكية من مكان آمن يلجؤون إليه[٣٣].

كما عَدَّت المؤرخة البيزنطية آنّا كومنين Anna Comnenos وقوع الصليبيين في كمائن المسلمين نقطة ضعف خطيرة في جانب العسكرية الصليبية، فذكرت: "أنه رغم شجاعة الصليبيين في القتال، إلا أن جرأتهم هذه تتلاشى حين ينصب الخصوم الكمائن لهم، فإذا شن خصومهم عليهم الحرب في العراء وهاجموهم يكون من السهل التغلب عليهم "[٣٤].

لم يُبدِ المؤرخون الغربيون قلقهم من خطر الكمائن الإسلامية فحسب، بل أبدى أيضًا الرحَّالة الغربيون الذين زاروا الأراضي المقدسة صدر القرن الثاني عشر الميلادي عن قلقهم من خطر تلك الكمائن التي انتشرت على طول الطريق الواصل بين الكيانات الصليبية والساحل الشامي؛ فأشار كل من الرحالة الأوروبي الحاج سايولف Saewulf، الذي قام برحلته إلى الأراضي المقدسة بفلسطين ما بين عامي ١١٠٢- ١١٠٣م/٤٩٥- ٤٩٦هـ، والرحالة دانيال الروسي Daniel of Russia الذي زار الأراضي المقدسة ما بين عاميّ ١١٠٦-١١٠٧م إلى مثل تلك الكمائن التي كان ينصبها المسلمون عبر الطرق الجبلية الوعرة [٣٥]. ويؤكد سايولف على وجود عدد من الكمائن الإسلامية الخطيرة التي شاهدها بنفسه على الطريق بين يافا وبيت المقدس[٣٦]، وحسب وصف سايولف ودانيال الروسي أيضًا، لم تَعدَم مناطق عسقلان، والجليل، وبيسان، وبيت لحم، والخليل، والناصرة وغيرها من وجود عدة كمائن نصبها المسلمون للصليبيين[٣٧]، الأمر الذي اضطر الرحالة دانيال ومنْ بصحبته إلى طلب الحماية من رجل مسلم له مكانة كبيرة ليساعدهم في عبور تلك المناطق التي وصفها "بالخَطِرَة [٣٨].

لاشك أن هذه الكمائن أدخلت الرعب في نفوس الصليبيين، فلم يعودوا يجرؤون على الخروج من معسكراتهم، أو الذهاب بعيدًا طلبًا للطعام، بعد أن

صارت المستعمرات الصليبية غير آمنة[٣٩]. وبلغ خوف الصليبيين من الوقوع في كمائن المسلمين حدًا جعلهم لا يخرجون لجمع محاصيلهم، وفي ذلك يُعلِّق فوشيه الشارتري[٤٠] بالمثل الدارج: "حينما يكون البحر هائجًا، يخاف الناس من صيد السمك"؛ إشارة إلى حالة الرعب التي سكنت نفوس الصليبيين.

ونتيجة لكثرة تلك الكمائن أيضًا، بات من الصعب معرفة ما يدور داخل الكيانات الصليبية، فحسب فوشيه[٤١] : "صار من المستحيل، أن يغامر أي رسول بالخروج إلى الملك ببيت المقدس، أو أن يأتي رسول منه إلى أي مدينة من المدن".

ويؤكد على ذلك تلك الرسالة التي بعث بها جيرموند Germond[٤٢] بطريرك بيت المقدس سنة ١١٢٠م إلى أسقف كومبستيلا وفيها يقول: "إن المسلمين يحاصروننا من كل الجهات .. ويتم غزونا كل يوم، وتقع بين صفوفنا المذابح، ونُستَعبَد، وتُقطع رؤوسنا فتصير جثثًا فريسة للوحوش والحيوانات والطيور، إنك سوف تهتز من أعماق قلبك لهذا العبء الثقيل المُلقى على كاهل الجنود والفرسان، بعد أن صاروا محصورون داخل الأبراج والأسوار وفي الكهوف .. ولا أحد في الحقيقة يجرؤ على أن يذهب مسافة ميل أو حتى أقل منه خارج أسوار القدس والأماكن الأخرى ..." [٤٣].

هذه الشهادات تؤكد بما لا يدع مجالًا لشك في مدى تأثير الكمائن الإسلامية في العمليات العسكرية ضد الصليبيين، ولعل عرض ما حققته تلك الكمائن من أهداف عسكرية يزيد الأمر تأكيدًا. فقد نجح المسلمون في تحقيق أهداف عدة منها، استنزاف قوة الجيش الصليبي، وذلك عن طريق قتل جنوده، والاستيلاء على معداته، وأسلحته، وجياده، وكذلك أسر كبار القادة الصليبيين، فضلا عن قطع خطوط الامداد عن الصليبيين، والحيلولة بينهم وبين تلقي المؤونة القادمة من الغرب الأوروبي، وإشعار الكيان الصليبي برمته بعدم الراحة والاستقرار والاطمئنان.

فمنذ وصول الجيوش الصليبية للأراضي الإسلامية، بدأت عمليات استنزاف قواهم مبكرًا. فما إن وطأت أقدام جموع حملة العامة بقيادة كلا من بُطرس الناسك Peter the Hermit[٤٤] ووالتر المُفْلِس Gautier Sans-Avoir [٤٥] أراضي السلاجقة المسلمين في أكتوبر سنة ١٠٩٦م/شوال ٤٨٩هـ، حتى بدأت

عمليات نصب الكمائن الإسلامية لهم، فعلى مسافة ثلاثة أميال من المعسكر الصليبي، وعند قرية دراكون، نَصَبِ السلطان قلج أرسلان(٤٦) كمينًا لحملة العامة، مُستَغِلًا ضيق الوادي وكثرة الغابات فيه، وقد انهالت سهام الكمناء المسلمين فجأة من الغابة على الجيش الصليبي فأصابت خيولهم، وهلك الكثير من جنودهم، وكان على رأس الهالكين والتر المفلس وعدد كبير من أتباعه، بينما فر البقية منهم إلى قلعة كيفيتوت Civitot الحصينة؛ أملًا في النجاة من سيوف الأتراك المسلمين(٤٧)، وقد اعتمد قلج أرسلان على عدة عناصر للكمين في هذه المعركة منها: إخفاء خبر تحركه، والاختفاء في الغابات، وسرعة الحركة؛ لمنع الصليبيين من الاستعداد للمعركة أو تنظيم صفوفهم؛ مما أدى إلى نجاح الكمين في تحقيق هدفه والانتصار بأقل الخسائر(٤٨).

كان لنجاح الكمين السابق أثره في دفع السُلطان قلج أرسلان لمواصلة عملية استنزاف قوة العدو الصليبي، فنصب لهم كمينًا آخر في أواخر يونيو سنة ١٠٩٧م/جمادى الأخرى٤٩٠هـ، بعد أن وصلته أنباء تفيد بأن الجيش الصليبي انقسم إلى شطرين، وخرج شطر منه في طريقه إلى أحد الأنهار لينعم بالمرعى والكلأ، فاختار السلطان أن يهاجم الشطر الأقرب والأضعف والأقل عددًا، وهو الشطر الذي كان على رأسه الأمير بوهيموند الأول Bohemond I (٤٩)، وابن أخته تانكريد Tancred (٥٠)، وستيفن كونت بلوا Stephen Count de Blois(٥١)، وعدد آخر من الأمراء، ورغم أن الصليبيين قاموا بإنزال جميع العجزة والمُسِّنيين من الرجال والنساء والأطفال في أحد الغابات القريبة حتى لا يكونوا عائقًا، فإن الجيش الصليبي وقع في كمين المسلمين، حتى أنه: "ما من أحد من المحاربين الصليبيين إلا وقد أصابه جرح"، كما سقط جرّاء هذا الكمين قُرابة ألفين من الفرسان والمشاة على السواء، كان من بينهم وليم أخو تانكريد وعدد آخر، وكاد أن يلقى تانكريد حتفه لولا أن أنقذه خاله بوهيموند الأول(٥٢). وتأتي أهمية هذا الكمين في أنه كَسَرِ هيبة الصليبيين، وهيبة مواجهة أعداد ضخمة منهم تفوق قوة المسلمين.

لم تُسفر كمائن الأتراك السلاجقة عن استنزاف قوة الصليبيين فحسب، وإنما نجحت في أسر واحد من كبار الزعماء الدينيين هو المندوب البابوي أدهيمار أسقف لي بوي Adhemar Le Puy(٥٣) والذي وقع في شَرَك كمين

نصبه له مجموعة من الأتراك البُجناك[٥٤] بالقرب من قلعة كيفيتوت سنة ١٠٩٧م/٤٩٠م، ولكن لم يلبث أن أُطلِق سراحه بعد أن قام برشوة أحد البجناك، والذي أنقذه ممن سماهم ريمونداجيل "بقُطّاع الطرق"[٥٥]، والذين لم يكونوا سوى مجموعة من الكمناء الأتراك.

كذلك استهدف الأتراك المسلمون في السادس من مارس ١٠٩٨م/ ربيع أول ٤٩١هـ مجموعة من الفرسان الصليبيين بقيادة بوهيموند الأول أثناء رحلتهم إلى ميناء أنطاكية لتلقي المساعدات القادمة من الغرب الأوروبي، وقد أمطر الكمناء قوات الأمير بوهيموند الأول بالسهام والنبال، فقتلوا عددًا منهم، أحصاهم صاحب كتاب أعمال الفرنجة بأكثر من ألف قتيل من الفرسان والمشاة[٥٦]. بينما قدَّرهم وليم الصوري بثلاثمائة قتيل، بخلاف ما فقدوه من الغنائم والأسلحة[٥٧]. كما جُرِحَ عدد آخر، واضطر باقي الجيش للفرار إلى جبل شاهق يعصمهم من هجوم الكُمناء المسلمين[٥٨].

وفي سبيل قطع خطوط الامداد عن الصليبيين، استهدفت الكمائن الإسلامية سفن البحارة والتجار الأوربيين الذين قدموا من الغرب الأوروبي سنة ١٠٩٨م/٤٩١هـ لتزويد الصليبيين المُحَاصَرين في أنطاكية بالطعام والمؤونة، فنصبوا الكمائن لعدة سفن تجارية بيزنطية ولاتينية، وقد نجحوا في القبض على البحارة والتجار وحرق السفن، وكانوا يأملون من وراء ذلك – حسب رأي وليم الصوري – "استئصال هذا النوع من التجارة حتى يُحال بين الصليبيين وبين كل أنواع المؤونة، ويفقدون كل أمل في السلامة"، وقد أدخلت هذه الكمائن الرعب والفزع في قلوب تجار الغرب الأوروبي، فلم يعودوا يأمنون العودة إلى الشرق اللاتيني، وترتب على ذلك شلل كامل بالتجارة الصليبية، أضرت بالصليبيين بالغ الضرر[٥٩].

الراجح أنه وحتى ذلك الوقت، لم يكن لدى الصليبيين أية نظريات مدروسة عن فن التصدي للكمائن، لهذا كرر المسلمون عملية نصب الكمائن، وكانت الخطة تقضي بأسر كبار القادة الصليبيين؛ فقد استغل الأمير غازي بن دانشمند أمير سيواس (١٠٨٤-١١٠٢م/٤٧٧-٤٩٥هـ) [٦٠] وصول أنباء تفيد بأن أمير أنطاكية بوهيموند الأول ينوي التوجه من إمارته إلى مدينة ملطية ليتسلمها من حاكمها جبريل، والذي كان قد رغب في تسليم المدينة للصليبيين

بعد أن عجز عن حمايتها من هجمات السلاجقة[٦١]، فقرر غازي أن يكمن له، وكان أن خرج بوهيموند وابن عمه ريتشارد السالرني Richard de Salerno[٦٢] على رأس قواتهما متجهين إلى مدينة ملطية في شهر يوليو ١١٠٠م/ شعبان سنة ٤٩٣هـ [٦٣]، وقد قدَّر ألبرت فون آخن قوات بوهيموند بثلاثمائة فارس، فضلًا عن عدد من الأرمن[٦٤]، في حين حددتها المصادر الإسلامية بخمسة آلاف مقاتل[٦٥].

أما عن عدد القوات الإسلامية التي أُستُخدِمت في الكمين، فقد اختلفت المصادر في تقديرها، فألبرت فون آخن أحصاها بخمسمائة فارس[٦٦]، بينما تحدث فوشيه عن جيش جرار من الأتراك دون أن يحدد عدده بدقة[٦٧]، ومن جانبه أشار متَّى الرّهاوي إلى إرسال الأمير السلجوقي لمجموعة مختارة من الفرسان لتدعيم الهجوم على الصليبيين [٦٨]، ولعله يقصد استخدام السلاجقة لفرقة من الكمناء للتصدي لقوات بوهيموند الأول وابن عمه، في حين مكث باقي الجيش الضخم على مقربة من الكمين مستعدًا للحظة الهجوم والانقضاض.

وعن مكان الكمين، فقد اختلف المؤرخون فيه، فذكر فوشيه أنه كان في مكان لا يبعد كثيرًا عن مدينة ملطية[٦٩]، ووافقه في ذلك ابن الأثير[٧٠]، بينما كان ألبرت فون آخن ومتى الرهاوي أكثر تحديدًا فحددا مكان الكمين بسهل ملطية[٧١]، في حين كان الكمين عند التلال القريبة من مدينة ملطية حسب وصف أحد المؤرخين المحدثين[٧٢]، والثابت أن السلاجقة نصبوا الكمين في التلال القريبة من مدينة ملطية، فالتلال مكان مناسب لنصب الكمائن. أما عن توقيت نصب الكمين فقد ذكر فوشيه أنه كان في يوليو سنة ١١٠٠م/ شعبان ٤٩٣هـ[٧٣]، في حين حدده حسن حبشي مترجم كتاب تاريخ الأعمال لوليم الصوري بالخامس عشر من شهر أغسطس من السنة نفسها، الموافق الأول من رمضان سنة ٤٩٣هـ[٧٤]، والراجح أن التاريخ الأخير هو الأصح.

ما يهمنا هنا النتائج التي أسفرت عن الكمين، والتي تلَّخصت في وقوع كل من بوهيموند الأول وابن عمه ريتشارد السالرني في الأسر، كما أسفر الكمين عن مقتل سيبريان أسقف أنطاكية Ceberan Bishop of Antioch ، وجريجوري أسقف مرعش Gregory Bishop of Marash [٧٥]، وهكذا نجح

الكمين الإسلامي في أسر اثنين من كبار زعماء الصليبيين مكانة، وحرمان الصليبيين من خدماتهما.

توالت عمليات الكمن الناجحة، فعقب نجاح الكمين السابق، أعدَّ إسماعيل بن الدانشمند(٧٦) كمينًا للحملة الصليبية المعروفة بالحملة اللمُباردية(٧٧) التي كانت قد وصلت في الثالث والعشرين من يونيه ١١٠١م/ الثالث والعشرين من شعبان ٤٩٤هـ إلى أنقرة (أنكورية)، بقيادة رايموند الصانجيلي Raymond de Saint Gilles(٧٨) وعدد آخر من الأمراء الصليبيين رغبة منهم في حصار قلعة إسماعيل بن الدانشمند لتخليص بوهيموند الأول الذي كان قد وقع في الأسر السلجوقي، فنصب لهم ابن الدانشمند كمينًا عند ميرسيفان Mersivan وذلك في أغسطس ١١٠١م/ ذو القعدة ٤٩٤هـ(٧٩). وقد ذكرت المؤرخة البيزنطية أنَّا كومنين أن والدها الامبراطور ألكسيوس كان قد نصح الصليبيين بضرورة توخي الحذر من الكمائن السلجوقية التي ينصبونها عبر الطرق، لكن من الواضح أن الصليبيين لم يستفيدوا من المشورة البيزنطية حسب رأي أنَّا كومنين، والتي لم يفوتها أن تُثني على شجاعة الأتراك المسلمين وروعة حملاتهم البطولية(٨٠)، وعلى عكس رواية أنَّا كومنين لدينا رواية أخرى يسوقها كلا من وليم الصوري، ومتىّ الرَّهاوي مفاداها أن الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين أرسل إلى الأتراك السلاجقة يخبرهم أن ثمة حملة صليبية عبرت البسفور وفي طريقها إلى الأراضي الإسلامية، وحثهم على ضرورة القضاء على هذه الحملة(٨١).

أيًا كان الأمر؛ فقد نجح الكمناء في إنزال خسائر فادحة بالحملة الصليبية. فتحدث متىّ الرَّهاوي(٨٢) عن خسائر ضخمة في الأرواح قدّرها بمائة ألف حاج، بينما تحدث ألبرت فون آخن(٨٣) عن مائة وستين ألف صليبي لقوا مصرعهم على يد المسلمين وذلك بخلاف الأسرى، بينما أحصى وليم الصوري(٨٤) الخسائر بخمسين ألف مقاتل، أما ابن الأثير(٨٥) فذكر أن الثلاثمائة ألف الذين كانوا تعداد للحملة لم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف جريح على رأسهم رايموند الصانجيلي، في حين أحصى أحد المؤرخين المحدثين عدد الضحايا بثلاثة أرباع الحملة(٨٦)، وهي أرقام برغم المبالغة فيها؛ إلا أنها تُنبيء عن مدى الكارثة التي حلَّت بالحملة الصليبية. كذلك فقد فتح هذا الانتصار

الطريق أمام المسلمين فاستولوا على مدينة ملطّية ذاتها، بعد أن أصبحت فريسة سهلة للدانشمنديين(٨٧).

والواقع أن الأتراك المسلمين بَنَوا من خلال الكمين السابق تصوراتهم لعوامل النصر والهزيمة بطريقة عملية واقعية، فتقرر أن النصر ليس بالعدد ولا بالعُدة، وإنما بحُسن التخطيط، واستغلال نقاط ضعف العدو، ونصب الكمين في المكان المناسب، والانقضاض عليه في التوقيت المناسب أيضًا.

وبطريقة مماثلة نَفَّذَ المسلمون بقيادة سُقْمان بن أُرْتُق(٨٨) صاحب ماردين وحصن كيفا، وشمس الدولة جكرمش(٨٩) أتابك الموصل كمينًا ناجحًا لجيشٍ صليبي بقيادة بوهيموند الأول، وابن أخته تانكريد، وبلدوين دي بورج كونت الرها Baldwin de Bourg (٩٠)، وعدد آخر من الأمراء والأساقفة كانوا في طريقهم صوب مدينة حران طمعًا في الاستيلاء عليها، وذلك في السابع من مايو ١١٠٤م/التاسع من شعبان ٤٩٧هـ(٩١).

ووفقًا لما ورد في المصادر المعاصرة، فقد حقق الكمين أهدافه، حيث وقع عدد كبير من الصليبيين في الأسر على رأسهم كل من بلدوين لي بورج، وجوسلين الثاني Joscelin II حاكم تل باشر، وبطريرك الرها، بينما فر بصعوبة كل من تانكريد وبطريركا أنطاكية وبيت المقدس وعدد من الجنود(٩٢). كما كان من نتائجه أيضًا مقتل عدد كبير من الصليبيين (٩٣)، أحصاهم متىّ الرَّهاوي بثلاثين ألفًا من الفرسان والمشاة والأتباع(٩٤)، بينما ذكر العظيمي في تاريخه أنه قُتِلَ في هذا الكمين "خلق عظيم من الفرنج"، ووافقه في ذلك رادولف دي كان(٩٥). فضلا عن ذلك فقد غنم المسلمون غنائم كثيرة(٩٦)، وقد علَّق وليم الصوري على تلك الحادثة بقوله: " لم يحدث أبدًا أن قرأنا قبل هذا الحادث أو بعده عن معركة بلغت من الشؤم ما بلغته هذه المعركة التي أسفرت عن مصرع رجال أبطال كهؤلاء الرجال، ولا سمعنا عن مثل هذا الفرار المُشين الذي لحق بجيشنا"(٩٧). أما ابن القلانسي "فاعتبره نصرًا حسنًا للمسلمين لم يتهيأ مثله، وبه ضعفت نفوس الإفرنج، وقلت عدتهم، وفلّت شوكتهم وشكّتهم، وقويت نفوس المسلمين، وتباشر الناس بالنصر، وأيقنوا بالنكاية في الإفرنج"(٩٨).

الراجح أن ارتفاع الروح المعنوية التي تحدث عنها ابن القلانسي لدى المسلمين دفعهم إلى مواصلة استخدام الكمائن في عمليات اصطياد القادة

الصليبيين؛ لذلك أعدّ الأتراك المسلمون لجيرفاس Gervase[٩٩] كونت طبرية كمينًا آخر سنة ١١٠٨م/٥٠٢هـ أسّفر عن مقتل كل من كان برفقة جيرفاس ماعدا اثنين من الغُلمان استطاعا الهرب إلى طبرية، أما الكونت نفسه فقد وقع في الأسر، وتم إرساله إلى دمشق مكبلًا بالسلاسل، الأمر الذي كان له الوقع السيء في نفس الملك بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠-١١١٨م) [١٠٠]، والذي حاول مفاوضة المسلمين لإطلاق سراحه، غير أن محاولته باءت بالفشل [١٠١].

بل لم يَسلَم الملك بلدوين نفسه من كمين آخر نصبه المسلمون له سنة ١١١٣م/ ٥٠٧هـ عند الجسر المؤدي إلى طبرية، قُتِلَ فيه ثلاثون فارسًا صليبيًا، وحوالي ألف ومائتين من المشاة، بينما فر الملك بأعجوبة[١٠٢]. ولا شك أن هذا العدد من القتلى ترك أثره على الجيش الصليبي الذي كان يعاني من قلة عدده في عهد هذا الملك.

وقد تجلت براعة المسلمين في اختيار أماكن الكمن، حيث كانوا يختارون أماكن غير متوقعة من قبل الصليبيين لنصب الكمين، كما تجلت براعتهم في استثمار الموقع الجغرافي للمكان لصالحهم. ومن ذلك اختيار الأمير غازي بن طونشمان لمنطقة بتل عِفْرين، -وهي منطقة يصفها ابن الأثير بوعورة طُرقها- لتكون كمينًا لروجر Roger أمير أنطاكية وجنوده، وذلك في مايو عام ١١١٩م/ منتصف ربيع أول سنة ٥١٣هـ، وكان الصليبيون يظنون أنَّ المسلمين لن يُقدِموا على الكمن في هذه المنطقة؛ نظرًا لصعوبة مسالكها، وقد أحاط المسلمون بالصليبيين من سائر النواحي، فلم يفلت منهم غير نفر يسير، بينما وقع الباقون بين قتيل وأسير، وكان في جملة الأسرى نيف وسبعون فارسًا من مُقدميهم حُمِلوا إلى حلب، وغنم المسلمون منهم مغانم كثيرة، وأما روجر أمير أنطاكية فقد لقى مصرعه[١٠٣].

وعلى الرغم من أن الغابة كانت مكانًا مألوفًا للكمن، إلا أن ذلك لم يمنع وقوع الصليبيين في كمائنها. ففي كمين ناجح بأحد الغابات القريبة من أنطاكية، اصطاد بَلكْ بن بهرام الأُرتُقي صاحب خرتبرت [١٠٤] جوسلين الثاني أمير الرها Joscelin II [١٠٥]، وجاليران صاحب قلعة البيرة اللذَّين كانا في طريقهما لأنطاكية، فتم أسرهما وإرسالهما إلى سجن حلب، وذلك سنة

١١٢٣م/٥١٧هـ[١٠٦]، وكان أسر جوسلين من أعظم الفتوح؛ لأنه كان شيطانًا عتيًا شديدًا على المسلمين حسب وصف ابن الأثير[١٠٧].

وفي السنة ذاتها نصب الملك بَلكْ بن بهرام أيضا كمينًا لاصطياد الملك بلدوين الثاني بعد أن وصلته أنباء تفيد بأن الملك قادم من أنطاكية لزيارة إمارة الرها للاطمئنان على أحوالها وضبط أمورها بعد أسر حاكمها جوسلين، وقد استغل بلك تفرق قوات الملك وعدم أخذهم للحيطة والحذر، فانقض الكمناء على جيش الملك، وفرّ الحرس الخاص الذين كانوا في الطليعة والمؤخرة، ووقعت مجزرة عظيمة في صفوف الصليبيين حسب وصف متّى الرّهاوي، ووقع الملك بلدوين الثاني في الأسر، وتم سجنه بقلعة خرتبرت ليلحق بجوسلين وجاليران [١٠٨]، وترتب على ذلك خلو ثلاثة من الإمارات الصليبية الأربع– وهي أنطاكية، والرها، وبيت المقدس– من حكامها ومدافعيها، فأصبحت في حال يُرثى لها من الضعف[١٠٩].

أما عن مكان الكمين وتوقيته فقد ذكر ابن القلانسي أن الكمين كان بموضع يُدعى "منظرة"، وحَدَدَ أسر الملك بلدوين الثاني بالتاسع من صفر سنة ٥١٧هـ[١١٠] الموافق أبريل من سنة ١١٢٣م، بينما ذكر ابن العديم أن قوات بلك هاجمت ملك بيت المقدس في موضع يعرف ب "أورش" بالقرب من قنطرة سنجة[١١١]، وأن ذلك تم في التاسع عشر من شهر صفر سنة ٥١٧هـ[١١٢]. ويذكر الرهاوي رواية تتفق كثيرًا مع رواية ابن العديم، فيروي أن بلك كَمِنَ بالقرب من الجيش الصليبي الذي كان معسكرًا عند قنطرة شندشيج Schendchig (سنجه)، وحدد تاريخ الحادثة بالثامن عشر من شهر أبريل سنة ١١٢٣م[١١٣] ووافقه في ذلك ميخائيل السرياني[١١٤] وبرغم إسهاب وليم الصوري في ذكر تفاصيل الكمين، إلا أنه لم يُحدد موضع الكمين ولا تاريخه،واكتفى بالإشارة إلى أن الهجوم على الملك بلدوين الثاني كان في ليلة من الليالي[١١٥].

ومن المُلاحَظ هنا أن المسلمين استخدموا الكمين ليلًا، مستغلين حالة التعب والإرهاق التي أصابت القوات الصليبية، والتي لم يغمض لها جفن منذ خروجها من إمارة أنطاكية –حسب رواية وليم الصوري[١١٦]– وحتى وصولها إلى موضع الكمين. ومن المتصور أن هذا الكمين الليلي تميّز بعدة مميزات منها، سهولة التسلل إلى داخل معسكر العدو، وتحقيق مبدأ المفاجأة، مع

الوضع في الاعتبار أن من سلبيات الكمائن ليلًا، صعوبة الرؤية، وانخفاض الدقة في الرماية، وصعوبة المراقبة.

كذلك استغل المسلمون جهل الصليبيين بجغرافية بلاد الشام، فنفَّذوا عدة كمائن ناجحة، منها الكمين الذي نفَّذه تاج الدين بوري[١١٧] أمير دمشق في منطقة مرج الصفر لقوة صليبية في ديسمبر سنة ١١٣٠م/ ذو الحجة ٥٢٤هـ، وحسب رواية وليم الصوري فقد حصدت سيوف المسلمين عددًا كبيرًا من أفراد الجيش الصليبي، في حين فرت بقية الجيش [١١٨]. وقد غنم المسلمون حسب وصف ابن القلانسي غنائم"لا تُحصر فتُذكر، ولا تُحد فتُعد من السلاح والأسرى والغلمان والبغال" [١١٩].

إذا انتقلنا إلى عهد عماد الدين زنكي (١١٢٨-١١٤٦م/ ٥٢٢-٥٤١هـ) [١٢٠] فسنلاحظ اهتمام زنكي البالغ بأمر الكمائن، فكان يكمن بنفسه للصليبيين. ومن ذلك كمينه الذي أعده لهم بالقرب من حصن بعرين في العاشر من يوليو ١١٣٧م/ العشرين من شوال سنة ٥٣١هـ فقَتَلَ، وأَسَرَ، واستولى على الكثير من الغنائم من السواد والأثاث[١٢١]. وقد أحصى وليم الصوري[١٢٢] عدد الذين لقوا حتفهم في هذا الكمين بأكثر من ألفي قتيل صليبي على رأسهم بونز Pons أمير طرابلس (١١١٣-١١٣٧م/٥٠٧-٥٣١هـ) [١٢٣]، وقد فتح نجاح هذا الكمين الطريق أمام عماد الدين زنكي؛ فشق طريقه نحو حصن بعرين وهزم فولك الأنجوي Fulk de Anjou (١١٣١-١١٤٣م/٥٢٦-٥٣٨هـ) [١٢٤] واستولى على الحصن[١٢٥].

وفي العام نفسه كَمِنَ بِزْواج قائد جيش دمشق لبونز كونت طرابلس في موضع أطلق عليه ابن القلانسي الكورة[١٢٦]، بينما حدد وليم الصوري الكمين بموضع يعرف بتل الحجاج Mons Ferrandus[١٢٧] بالقرب من قلعة مونتفورت[١٢٨]، وق حمَّل وليم الصوري مجموعة الأدِّلاء الذين كانوا يرشدون الجيش الصليبي مسؤولية الوقع في الكمين، فذكر أنهم تركوا الطريق الآمن ربما عن قصد أو غير قصد، وقادوا الصليبيين عبر طريق جبلي صعب انتهى بوقوعهم في كمين المسلمين[١٢٩]، ولا يستبعد الباحث هنا أن يكون الأدِّلاء أنفسهم ضمن خطة كمين بِزْواج؛ والتي اقتضت تضليل الجيش الصليبي، وتسلميه فريسة سهلة للكمناء الأتراك.

أيًا كان الأمر؛ فقد أسفر الكمين عن مقتل عدد من كبار رجال الجيش في مقدمتهم بونز كونت طرابلس، ووقوع جيرالد أسقف طرابلس وعدد كبير معه في الأسر(١٣٠). الأمر الذي أغرى عماد الدين زنكي بضرب الحصار على قلعة مونتفراند، الواقعة على مرتفعات مدينة طرابلس (١٣١).

لم تَسلم الحملة الصليبية الثانية من خطر الكمائن الإسلامية. فعندما خرجت جيوش الحملة الصليبية الثانية من الغرب الأوروبي سنة ١١٤٦م/٥٤١هـ بقيادة إمبراطور ألمانيا وملك فرنسا، متجهة إلى الشرق الإسلامي، أرسل البيزنطيون حسب رواية وليم الصوري إلى السلاجقة المسلمين يبلغونهم بخبر قدوم الحملة، وقد بُولِغ في ذكر أعداد الجيش الألماني، فقيل أنه مكّون من سبعين ألف فارس وعدد من المُشاة لا يُحصيه العَدّ(١٣٢).

والواقع أن جيشًا بهذا العدد يفوق قطعًا القوات الإسلامية، لا يمكن مواجهته وجهًا لوجه، وإنما لابد من استخدام الحيلة، ولم يكن ثمة أفضل من استخدام الكمائن كحيلة لاستنزاف قوة هذا الجيش الضخم. فما إن علم السلطان السلجوقي بهذا الحشد حتى بدأ في جمع عساكره، وبدأ يفكر في تخّير المكان المُلائم لنصب الكمين، وحسب رواية وليم الصوري فإن الأتراك قدَّموا رشوة للأدّلاء البيزنطيين الذي خرجوا مع الجيش الألماني باعتبارهم من ذوي المعرفة الواسعة بالطرق والدروب، فقادوا الجيش الألماني عبر طريق غير مألوف أفضى بهم إلى الوقوع في كمين الأتراك المسلمين وذلك في نوفمبر سنة ١١٤٦م/ جمادى الأولى٥٤١هـ(١٣٣). وقد حَدَدَ وليم الصوري موضع الكمين بصحراء كبادوكيا البعيدة عن قونية(١٣٤). وأسفر الكمين عن وقوع العديد من الألمان صرعى، فهلك حسب رواية وليم الصوري -الذي ينقل عن شهود عيان- تسعة أعشار الجيش الألماني ما بين قتيل وأسير، في حين فرّ الإمبراطور الألماني بمن تبقى من جيشه إلى مدينة نيقية، كما أسفر الكمين عن استيلاء الأتراك على غنائم وأسلاب لا تُحصى من الجياد والسلاح الوفير، ثم راح الأتراك المسلمون يترصدون في لهفة وصول الشطر الثاني من الحملة بقيادة ملك فرنسا(١٣٥).

وعندما تولى السلطان نور الدين محمود الحكم خلفًا لوالده، واصل استخدام استراتيجية الكمائن في حروبه ضد الصليبيين. وقد عُرِفَ عنه توسعه

في استخدام الحيل الحربية في حروبه معهم، حتى وصفه ابن الأثير بالمُجاهد الذي: "أكثر من إعمال المكر والخداع مع الإفرنج، وأكثر ما ملكه من بلادهم كان به"[١٣٦]. فكتب إلى الأمير نصرة الدين أمير ميران[١٣٧]، يحثه على نصب كمين للصليبيين، وذلك بعد أن وصلته أخبار في ٢٨ أبريل سنة ١١٥٧م/ ١٥ ربيع الأول ٥٥٢هـ تفيد بأن الصليبيين أغاروا على نواحي حمص وحماة، وأنهم في طريقهم إلى بانياس، فكمن لهم الأمير نصرة الدين في شعاب قريبة من بانياس، وعند مرور الصليبيين خرج عليهم الكمناء المسلمين بحيث لم ينج منهم إلا القليل، وصاروا حسب رواية المؤرخ أبو شامة: "ما بين قتيل، وجريح، ومسلوب، وأسير"، وغنم المسلمون مالا يُحد كثرة من خيولهم، وأسلحتهم، وأموالهم، وأسراهم، ثم أُرسلت الأسرى ورؤس القتلى وبقية الغنائم إلى السلطان نور الدين بدمشق[١٣٨].

وفي يونيو سنة ١١٥٧م/ ربيع الأول سنة ٥٥٢هـ، نفّذ نور الدين محمود كمينًا ناجحًا قرب بحيرة الحولة في أعلى وادي الأردن، بعد أن وصلته أنباء تفيد بأن الملك بلدوين الثالث Baldwin III (١١٤٣-١١٦٣م) [١٣٩] ومعه مجموعة من الأمراء الصليبيين قد خرجوا من مدينة بانياس، وفي طريقهم نحو وادي الأردن، فأمر نور الدين على الفور بتحريك قواته، فعبر الأردن وكمن للجيش الصليبي في بقعة تعرف باسم "مخاضة يعقوب" على جانب من نهر الأردن الذي كان لابد لجيش الملك أن يجتازه في اليوم التالي، ولما طلع اليوم التالي تابع الصليبيون سيرهم وهم لا يعلمون بخبر الكمين الذي نصب لهم في الليلة السابقة، ولا بخطط نور الدين محمود التي أعدها سرًا، ووصلوا زحفهم فغشاهم الطمأنينة الكاذبة ولا يتوقعون شرًا، فإذا بالكمين الخفي الذي أعده نور الدين يطلع عليهم وهم في غفلة ساهون، وباغتهم من حيث لا يحتسبون، وقد أفضى هذ الكمين إلى وقوع العديد من القتلى في صفوف الصليبيين، فصاروا حسب وصف ابن القلانسي: "بين قتيل وجريح ومسلوب وأسير وطريح "[١٤٠]، كما وقع في الأسر العديد من كبار رجال المملكة، على رأسهم هيو دي أبلين Hugh d'Ibelin، وأودو دي سانت أماند Odo de Saint-Amand مارشال الملك، ورينارد Renard رئيس فرسان المعبد، وعدد آخر من الأمراء الصليبيين، وبعد الكمين الناجح الذي نصبه نورالدين هرب الملك بلدوين الثالث بأعجوبه

ومعه نفر قليل قاصدًا قلعة صفد الحصينة الواقعة على نفس التل(١٤١) .

كذلك أسفرت أعمال الكمائن عن أسر واحد من أعتى الصليبيين وأكثرهم غدرًا وهو رينو دي شاتيون Rynould de Chatillon (١٤٢)، وذلك في الثالث والعشرين من نوفمبر سنة ١١٦٠م/ ذو القعدة ٥٥٥هـ، بعد كمين ناجح نفَّذه مجد الدين بن الداية حاكم حلب، مسترشدًا ببعض الأدَّلاء الذين كانوا قد جاءوا حاكم حلب بأخبار تفيد بأن أرناط قام بسلب قطعان الماشية في المنطقة الواقعة بين مرعش ودلوك، فكمن له ابن الداية في بعض الممرات الضيقة ما بين كيسوم ومرعش في موضع أطلق عليه وليم الصوري اسم كومي، وقد نفَّذ المسلمون خطة الكمين بنجاح، فانقضوا على أرناط وقواته فقتلوا عددًا منهم، ولاذ عدد آخر بالفرار، أما أرناط نفسه فقد وقع في الأسر، وتم اقتياده إلى سجن حلب هو ورفاقه (١٤٣).

وبعد أربع سنوات من الكمين السابق، وتحديدًا سنة ١١٦٤م/٥٥٩هـ، تورط الصليبيون في كمين ناجح نفّذه نور الدين محمود بالقرب من مدينة حارم، وفيه لقى ما يقرب من عشرة آلاف من الصليبيين مقتلهم(١٤٤)، هذا بخلاف الأسرى الذين بلغوا من الكثرة حتى "امتلأت حلب بهم، فبيع الأسير بدينار" على حد وصف المؤرخ سبط بن الجوزي(١٤٥)، وكان من جملة الأسرى الأمير بوهيموند الثالث أمير أنطاكية، ورايموند الثالث كونت طرابلس، وعدد آخر من كبار الصليبيين(١٤٦)، وقد ردَّ وليم الصوري سبب الهزيمة إلى الوحل والمستنقعات التي أعاقت الصليبيين عن القتال بعد وقوعهم في الكمين(١٤٧). وبذلك خَلَتْ إمارة أنطاكية وكونتية طرابلس ممن يدبر أمرهما.

توالت عمليات الكمن في عهد السلطان نور الدين محمود، فبعد سنة من واقعة كمين حارم، أعدَّ أسد الدين شيركوه بأمر من نور الدين كمينًا لفرقة صليبية بالقرب من مدينة صيدا، وأسفر الكمين عن مقتل أغلب أفراد الفرقة، وأُسِرَ الباقي، وكان من ضمن الأسرى هنفري أو أونفري الثاني دي تورون Onfroi II du Touronابن هنفري الأول مقدم حصن حارم(١٤٨)، وعاد الكمناء بالأسرى والغنائم سالمين، ولم يصب منهم حسب رواية أبو شامة إلا فارس واحد(١٤٩).

أما عن الكمائن في عهد صلاح الدين الأيوبي، فتجدر الإشارة هنا إلى

أن المصادر التاريخية لم تمدنا إلا بإشارات ضئيلة عن كمائن المسلمين طيلة الفترة الواقعة بين انفراد السلطان صلاح الدين بالحكم سنة ١١٧٤م/٥٧٠هـ وحتى استعادة السلطان لبيت المقدس والمدن الشامية الساحلية سنة ١١٨٨م/٥٨٤هـ؛ ولعل سبب ذلك يعود لطبيعة تلك الفترة التي شهدت أمرين: الأول، انشغال صلاح الدين بحركة توحيد الجبهة الإسلامية، والثاني، تنامي قوة المسلمين، وميل ميزان القوى لصالحهم، ولعل هذا يفسر عدم اعتماد المسلمين على أسلوب الكمائن في الحرب خلال تلك الفترة إلا في أقل الحدود الممكنة، خاصة بعد أن أصبح أغلب الشريط الساحلي بمنافذه، وطرقه، وممراته، وموانيه الاستراتيجية في يد السلطان صلاح الدين.

والراجح أن هذا التحكم في المنافذ والممرات هو ما دفع صاحب كتاب الحرب الصليبية الثالثة إلى التساؤل عن مصير مملكة بيت المقدس، وأمن طُرقها البرية والبحرية، بعد أن أصبحت في يد رجل واحد وهو صلاح الدين، كما أشار المؤرخ ذاته إلى صعوبة قدوم السفن الأوروبية إلى الشرق خوفًا من الوقوع في الكمائن التي تتصبها لها مراكب الخصم وسفنه(١٥٠).

على أية حال؛ عادت المصادر لتُبدي اهتمامها مرة أخرى بأمر الكمائن الإسلامية في المرحلة الثانية من العهد الأيوبي، والتي بدت وكأن انتصارات المسلمين بقيادة صلاح الدين قد وصلت إلى نهايتها، وغدا خط انكسار الجانب الإسلامي واضحًا، بدءًا من تراجعهم أمام أسوار مدينة صور، وحصار الصليبيين لعكا، واستدعاء حملات جديدة من الغرب، حيث رأى صلاح الدين أنه من الأفضل استنزاف القوى الصليبية، وأنه يتوجب عليه التربص بهم حتى يشعرهم بالخوف، وأنه لا يمكّنهم من الخلود إلى الراحة والاستعداد لمواجهته في الوقت الذي يحددونه، لذلك رأى أن أفضل السبل لتحقيق هذا الهدف هو نصب الكمائن؛ إضافة إلى أساليب أخرى عمد إلى تنفيذها(١٥١)، وبدأ صلاح الدين أعمال الكمن فور وصول أنباء له عن قدوم جيوش الحملة الصليبية الثالثة، فنصب المسلمون عدة كمائن للجيش الألماني، مُستغلين الطرق بالغة الضيق التي اضطر الألمان للسير فيها، ونجح المسلمون في الانقضاض على مؤخرة الجيش الألماني، وألحقوا به خسار فادحة، ونجا ابن الامبراطور الألماني نفسه بأعجوبة، ووصل قونية مع من تبقى من جيشه وهم في حالة يُرثى لها(١٥٢).

لم يَثْنِ وصول الحملة الصليبية الثالثة للشرق السلطان صلاح الدين عن متابعة مشروعه لاستنزاف القوى الصليبية، فقد واصل نصب الكمائن. وهنا تجلت مَقْدِرَة صلاح الدين العسكرية في استخدامه لهذا الأسلوب التكتيكي لزعزعة استقرار وأمن الكيان الصليبي. ولعل من أبرز كمائنه ما وقع في يوليو ١١٨٩/ السادس من جمادى الأخرى ٥٨٥هـ حينما وصل إلى مسامع صلاح الدين خبر مفاداه أن جماعة من أفراد العدو يخرجون من صور قاصدين جبل تبنين لجمع الحشيش والحطب، فرأى أن يضع كمينًا من الفرسان الشجعان يتوزعون في الأودية والشعاب، ولم يكتف صلاح الدين بنصب الكمين من جهة واحدة، بل أرسل إلى عسكر عكا وطلب منهم أن يخرجوا وراء عسكر العدو حتى إذا تحرك هؤلاء في نصرة أصحابهم قصدوا خيامهم، وركب هو وجماعة من رجاله وساروا باتجاه المكان الذي سيلجأ إليه رجال الكمين المنهزمين، ورتب صلاح الدين العسكر ثمانية فرق، واختار من كل فرقة عشرين فارسًا من الشجعان، وأمرهم أن يبرزوا للعدو بحسب الخطة المُتَبعة حتى يظهروا إليهم ويناوشوهم، وينهزموا بين أيديهم إلى أن يصلوا إلى الكمين، فتم الكمين بنجاح محققًا أهدافه(١٥٣).

يُبرز الكمين السابق، حِنكَة صلاح الدين في استحداثه لتشكيل جديد لمساعدة طاقم الكمين في صورة "مجموعة التأمين"، والتي تركز هدفها في تأمين مجموعة الهجوم وحمايتهم من أي هجوم مضاد قد يشنه العدو ضدهم، وكذلك تأمين انسحاب أفراد الكمين بعد انتهاء المهمة بنجاح.

كما تجلَّت حِنكَة صلاح الدين العسكرية أيضًا في استعماله للبدو العرب في عمليات الكمن، معتمدًا على سرعتهم وخفة حركتهم وقدرتهم على التظاهر بالهزيمة أمام العدو، لجره إلى مكان الكمين، ومن ثم الاندفاع نحوه، والإيقاع به، وتحقيق الانتصار عليه(١٥٤)، لذلك أمرهم في شعبان سنة ٥٨٥هـ/سبتمبر ١١٨٩م أن يكمنوا لمجموعة من الصليبيين كانوا قد خرجوا للاحتشاش وجمع الأعلاف لخيولهم، وقد نفذ البدو الكمين بنجاح؛ فهاجموا الصليبيين والفرقة العسكرية التي كان معهم للحراسة، فقتلوا منهم أعداد كبيرة، وأسروا عددًا آخر، وأحضروا رؤوسًا عدة بين يديّ السلطان فأحسن إليهم وكافأهم (١٥٥).

كذلك اعتمد صلاح الدين عليهم في كمين آخر جرى تنفيذه في شوال

سنة ٥٨٧هـ/ أكتوبر ١١٩١م، في بطون أوادٍ، حيث طلب منهم الظهور ومناوشة الصليبيين الذين كانوا قد خرجوا للاحتشاش والاحتطاب، وجرّهم إلى ناحية الكمين المنصوب، فلما التحم الصليبيون بالبدو، خرج عليهم الكمناء، وفرقة أخرى كان قد أنفذها السلطان بقيادة سيف الدين يازكج[١٥٦]، حماية للكمين، فانقضوا جميعا على الصليبيين، وقُتل في هذا الكمين من الصليبيين حوالي ستين مقاتل، وتم أسر فارسين، بينما لاذ الباقون بالفرار، وغنم المسلمون عددًا من خيولهم[١٥٧].

أمّا عن أشهر الكمائن التي نفَّذها المسلمون في عهد السُلطان صلاح الدين الأيوبي فهو ما عُرِفَ في التاريخ باسم "وقعة الكمين"، وذلك في الثاني والعشرين من شوال سنة ٥٨٦هـ/ نوفمبر ١١٩٠م، حيث اختار مجموعة من أمهر فرسانه، وأمرهم أن يسيروا في الليل، ويكمنوا في سفح تل شمال مدينة عكا بعيدًا عن عسكر العدو، وقد تم تنفيذ الكمين بنجاح، والذي راح ضحيته أغلب أفراد الجيش الصليبي بين قتيل وأسير[١٥٨] ، وكان من جملة الأسرى سينليس Senlis كبير خدم القصر الملكي[١٥٩] .

والملاحظ هنا أن الكمين السابق تم تجهيزه تحت ستار الليل بأواخر شهر شوال، حيث تنعدم الرؤية في هذا التوقيت، الأمر الذي وفر للكمناء المسلمين فرصة جيدة للتخفي، واحداث مبدأ المباغتة.

وفي كمين ليلي آخر نَصَبَه المسلمون بأمر من صلاح الدين لملك إنجلترا ريتشارد الأول قلب الأسد Richard I the Lionheart (١١٨٩-١١٩٩م) [١٦٠]، أثناء خروجه متخفيًا للصيد في رمضان ٥٨٧هـ / نوفمبر ١١٩١م، وفي هذا الكمين، استغل المسلمون نوم بعض الحُرّاس وهاجموا الملك الإنجليزي، وكان مستشاروه قد حذروه من ولوج هذا الطريق الوعر ليلًا، لكنه أصر على المسير، وقد أسفر الكمين عن قتل عدد من جنود الملك، وكاد الملك نفسه أن يقع في الأسر؛ لولا أن فداه أحد فرسان حرسه[١٦١].

وفي سبيل قطع المؤونة والميرة عن الجيش الصليبي، أمر السلطان صلاح الدين في جمادى الأولى سنة ٥٨٨هـ/ مايو ١١٩٢م فرقة اليزك أن يكمنوا لجماعة من الصليبيين كانوا قد خرجوا ليافا لنقل الميرة، فكمن لهم اليزك في الطريق، فلما مرت بهم القافلة، انقضوا عليها، فقتلوا ثلاثين نفرا وأسروا

جماعة أخرى، واستلوا على ما بالقافلة من ميرة [١٦٢].

وبعد هذا الكمين بشهر واحد وتحديدًا في جمادى الثانية سنة ٥٨٨هـ/ يونيو ١١٩٢م نصب مجموعة من العرب بأمر من السلطان أيضًا كمينًا لقافلة صليبية أخرى كانت في طريقها إلى أحد المُعسكرات الصليبية، فخرج عليهم الكمناء المسلمون وقتلوا وجرحوا منهم الكثير، واستولوا على ما بالقافلة من مؤونة[١٦٣]. كما نفّذ المسلمون بالقرب من عكا في الشهر ذاته كمينًا ناجحًا لقوة صليبية كانت في طريقها لعكا، فقضوا عليها [١٦٤]. ولا شك أن نجاح هذا الكمائن في قطع الميرة والمؤونة عن الجيش الصليبي عاد بالسلب على الكيان الصليبي برمته.

أساليب وتكتيكات نصب الكمائن:

من الأقاويل الشهيرة التي يرددها المُنظِّرون العسكريون بشأن الكمين: "إن العدو هو من يحدد الزمان"، ولكن وفق ما طالعتنا به المصادر المعاصرة فإن ذلك لم يكن مطلقًا، إذ يمكن اجتذاب العدو، أو دفعه للتحرك عبر اصطناع حدث ما، ولكن المطلق في الأمر أن الكمناء هم دائمًا من يحددون المكان المناسب، فإذا لم يجدوا المكان المناسب، حاولوا اجتذاب العدو لهذا المكان، وهذا ما فعله المسلمون بلشرق اللاتيني عصر الحروب الصليبية.

كذلك فإذا كان للكمين نمط وأسلوب واحد كما ذكر المؤرخون والعسكريون؛ فإن المسلمين استخدموه بأساليب متعددة وبطرق ذكية[١٦٥]. إذ تمدنا المصادر المعاصرة بمعلومات تؤكد على أن المسلمين عرفوا أكثر من أسلوب لنصب الكمائن وطبقوها في عملياتهم العسكرية ضد الصليبيين بدقة تامة. من بين هذه الأساليب اعتماد المسلمين لتكتيك التقهقر المُضلل، أو ما يُعرف بأسلوب الكر والفر[١٦٦]. وفيه يتظاهر جزء من الجيش الإسلامي بالهزيمة، ويفر من أرض المعركة، فإذا لحقتهم قوات العدو مسافة عدة أميال، خرجت بقية القوات الإسلامية من مكمنها وانقضوا على جيش العدو، محققين مبدأ المباغتة، والذي يعد أحد أهم مبادىء الحرب لدوره الحاسم في إحراز النصر، وتحطيم التفوق العددي للعدو.

فطبقا لما جاء في المصادر الإسلامية والغربية فقد نصب قاضي مدينة

جبلة أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة[١٦٧] –وكان مشهورًا بالحيل والخدع الحربية –كمينًا للصليبيين الذين حاصروا مدينته سنة ١١٠١م/٤٩٤هـ، حيث قام بنقب السور في عدة أماكن، وأعدَّ كمينًا داخل المدينة، وأمر ببعض قواته بالخروج ومناوشة الصليبيين ثم الانسحاب، وتم تنفيذ التكتيك بنجاح حيث تبع الصليبيون القوات المنسحبة إلى أن وصلوا السور، وهنا خرج الكمناء من النقوب وهاجموا الصليبيين من ظهورهم، فهزموهم وقتلوا بعضهم، وأسروا قائدهم، وبذلك نجحت خدعة التظاهر بالانسحاب بعد أن دفعت العدو إلى الكمين المنصوب له باستخدام خفة الحركة في التطبيق[١٦٨].

هذا الأسلوب التكتيكي طبقه أيضًا سُقُمان بن أُرتق صاحب ماردين وحصن كيفا، وشمس الدولة جكرمش أتابك الموصل في السابع من مايو ١١٠٤م/التاسع من شعبان ٤٩٧هـ[١٦٩]، عند موضع يُقال له "رأس العين"[١٧٠]، اعتمادًا على ثلاث عناصر أساسية، أولهما: معرفة سُقُمان وجكرمش الجيدة بطبيعة الأرض وتضاريسها، وثانيهما: توافر المعلومات لديهما عن عدد الجيش الصليبي وعدته. وثالثهما: السرية التامة التي أحاطت عملية تنفيذ الكمين[١٧١].

وبأسلوب مماثل كمن الأتراك المسلمون سنة ١١٠٩م/٥٠١هـ لجيرمانيوس كونت طبرية وجنوده عند سفح أحد الجبال، بينما تظاهرت قوة إسلامية أخرى بالهروب من جنود الكونت، فلما لحقوهم إلى سفح الجبل، وقعوا في مصيدة الكمين الإسلامي، فأحاط بهم الكمناء من كل جانب، وأطلقوا عليهم السهام، وقد أسفر الكمين عن مقتل جميع أغلب الجند، بينما وقع كونت طبرية في الأسر[١٧٢].

وفي كمين معركة الصِّنَّبرة[١٧٣] سنة ١١١٣م/٥٠٦هـ كرر المسلمون الأسلوب القتالي ذاته مع قوات المملكة الصليبية بقيادة الملك بلدوين الأول، فقد تحرك الأمير مودود حاكم الموصل بجيشه جاعلًا دمشق عن شماله، ومر بطبرية الواقعة بين جبل لبنان والساحل، وعند الجسر الموجود على نهر الأردن قرر أن ينصب كمينه، فأرسل ألفي فارس، وأمر ألف وخمسمائة منهم أن يكمنوا للقوات الصليبية عند الجسر، أما الخمسمائة الباقون فقد كلفهم بالتقدم في غير نظام حتى تنطلي المكيدة على الملك الصليبي فيمضي في مطاردتهم، وتم تنفيذ

كل شىء وفق ما رتب الأمير مودود، إذ ما كاد الملك يرى هؤلاء الخمسمائة فارس يسيرون بجيادهم غير مبالين بشىء ولا آخذين حذرهم كأنهم يفرون من المعركة، حتى استدعى إليه رجاله واندفع بهم اندفاعًا أهوج ضد هؤلاء الفرسان وانطلق يطاردهم في طيش، فإذا به يسقط في الكمين الذي نُصِبَ له، فعاد الخمسمائة فارس واشبكوا معه، بينما انقضت بقية قوة الكمين على الجيش الصليبي، الذي تعرض لمذبحة مروعة، حتى أن الملك نفسه ومعه قلة قليلة نجوا بأعجوبه مخلفين وراءهم المعسكر بكل متاعهم(١٧٤)، وحسب ما أورده وليم الصوري؛ فقد قتل في هذا الكمين ثلاثون فارسًا صليبيًا، وألف ومائتا جندي من المشاة، وقد سببت تلك الواقعة حالة من الفزع الشديد داخل مملكة بيت المقدس أجبرتهم على عدم الخروج خارج تحصيناتهم (١٧٥).

تجدر الإشارة إلى أن اختيار المسلمين لهذا الجسر كموضع للكمين كان موفقًا لعدة اعتبارات منها، أولًا: وفرة المياه لقربه من بحيرة طبرية، وثانيًا: قربه من جبال لبنان لتكون ملاذًا آمنًا للكمناء إذا ما فشل الكمين.

على أية حال؛ فبعد ما يقرب من نصف قرن من الكمين السابق، طبق المسلمون التكتيك ذاته في كمين بالقرب من مدينة حارم سنة ١١٦٤م/٥٥٩هـ، وفيه تظاهرت ميمنة الجيش الإسلامي بالهزيمة فتقهقروا هاربين، وتبعهم الصليبيون، فخرجت الميسرة والقلب من مكامنهما ولحقا بالجيش الصليبي الذي وقع في الكمين، وأصبح بين فكي كماشة، ومحاط من كل جانب، فأطبق المسلمون عليهم، فأسروا عددًا كبيرًا منهم، كان على رأسهم الأمير بوهيموند الثالث أمير أنطاكية، وريموند الثالث كونت طرابلس، وجوسلين الثالث وغيرهم، وبلغ عدد القتلى عشرة آلاف قتيل(١٧٦) .

وفي معركة البابين(١٧٧) بمصر والتي جرت في ١٨ أبريل سنة ١١٦٧م/ جمادى الأخرى ٥٦٢هـ بين المسلمين بقيادة أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين من جهة، وبين الوزير الفاطمي شاور ومعاونيه من الصليبيين بقيادة ملك بيت المقدس عموري الأول Amaury I (١١٦٣-١١٧٤م) (١٧٨) من جهة أخرى، كان التفوق العددي في صالح شاور والصليبيين(١٧٩)، لذلك أدرك المسلمون أنهم في حاجة إلى التدبير الحربي أكثر من حاجتهم إلى الوفرة العددية. ومن ثم أشار صلاح الدين على عمه شيركوه باستخدام استراتيجية

التقهقر المضلل، فنصب شيركوه كمينًا للصليبيين عند البابين، وهي منطقة تبعد عن المنيا عشرة أميال، بينما احتلت بقية القوات الإسلامية المرتفعات الموجودة على اليمين واليسار، ثم تظاهر شيركوه بالفرار بقواته، واندفع الملك عموري الأول بقواته خلف قوات شيركوه، وهنا خرجت القوات الإسلامية الكامنة جهة اليمين واليسار فانقضت على القوات الصليبية، وأسفر ذلك عن مقتل هيج سيد قيسارية Hugh de Caesarea(١٨٠) وأسر طائفة من رجاله، وجرح مجموعة أخرى على رأسها رالف Ralph أسقف بيت لحم (١٨١)، وفرار الباقين، وبذلك لقيت القوات الصليبية هزيمة مروعة، اضطر الملك عموري الأول على إثرها إلى الانسحاب من المعركة(١٨٢).

كذلك كانت المهارة في استخدام مبدأ المُباغتة من العوامل الحاسمة فيما حققه صلاح الدين الأيوبي من انتصارات، فكان من القادة الذين عرفوا أهمية المباغتة وأتقنوا استخدامها. فاستخدم على سبيل المثال كمينًا في أواخر يوليو ١١٨٩م/السادس من جمادى الآخرة ٥٨٥هـ، بعد أن بلغه أن جماعة من الصليبيين يحتطبون بالقرب من جبل تبنين، فاختار من كل فرقة من الفرق الثمانية عشرين فارسًا، وأمرهم أن يتظاهروا بالانهزام والتقهقر أمام الصليبيين حتى يصلوا إلى مكان الكمين المُعد بالقرب من الجبل، فانجرف الجيش الصليبي الذي كان يحمي المحتطبين خلف الفرقة الإسلامية الهاربة، فوقعوا جميعًا في الكمين المُعَد، وقد نتج عن الكمين مقتلة عظيمة بين صفوف الصليبيين، وجرح عدد آخر حسب وصف المصادر الإسلامية(١٨٣) .

لم تتوقف أساليب الكمن على أسلوب التقهقر المضلل فحسب، بل عرف المسلمون أساليب أخرى منها وضع طعم لاجتذاب القوات الصليبية نحو كمين مهيأ لذلك، وتشير المصادر العربية والغربية باستمرار إلى مثل هذه الخدعة الحربية، وكان يتم ذلك عن طريق قوة إسلامية صغيرة تكون كفيلة بإغواء الجيش الصليبي وحفزه لمطاردتها. وعندما ينطلق الصليبيون لمهاجمتها يتوجه الطعم بمطارديه باتجاه الكتلة الرئيسية للجيش الإسلامي التي تبقى مختفية حتى اللحظة الحاسمة للهجوم(١٨٤).

طُبقت تلك الاستراتيجية بالقرب من مدينة نيقية سنة ١٠٩٧م/٤٩٠هـ حيث اندفع الفرسان الصليبيون بخيولهم نحو جسر لمطاردة حصان شارد كان

المسلمون قد أطلقوه للجري بدون فارس، فظن الصليبيون خطأ أن ذلك هروب يقوم به الفرسان الأتراك المسلمون، فأسرع الصليبيون خلف الحصان، ليقعوا في كمين راح ضحيته العديد من الفرسان الصليبيين، أما من فروا من الكمين فقد اضطروا لإلقاء أسلحتهم، بل عمد بعضهم إلى القفز في النهر، ولم ينج منهم لبر الأمان إلا السباحين والأقوياء[١٨٥]، وقد قدَّر المؤرخ ريمونداجيل شاهد العيان على تلك الواقعة عدد الذين قُتلوا بسيوف المسلمين بخمسة عشر فارسًا، وعشرين من المشاة، بخلاف العديد من الغرقى والجرحى [١٨٦].

وبعد عام من الواقعة السابقة، وتحديدًا سنة ١٠٩٨م/٤٩١هـ،كرر المسلمون الاستراتيجية ذاتها، حيث تظاهرت فرقة عسكرية إسلامية قوامها ثلاثون فارسًا بالخروج من مدينة أنطاكية من أجل طلب الأسلاب والغنائم، بينما كَمن بقية الجيش الإسلامي في غابة قريبة من المدينة، وقد تمت الخطة بنجاح حيث انطلق الصليبيون خلف الطعم دون تبصر وأوغلوا خلف الفرقة العسكرية، فطلعت عليهم الكمائن التي نصبها الأتراك المسلمون لهم، وأنزلوا بهم خسائر فادحة[١٨٧].

كذلك استخدم الأتراك المسلمون طُعما في صورة ماشية أخرجوها في يناير ١٠٩٩م/ صفر ٤٩٢هـ، فتهافت الصليبيون على هذه الغنيمة وتفرقوا لجمع ما تشتت منها، وعندئذ شن المسلمون هجومًا مفاجئًا، فتشتت شمل القوة الصليبية، وقُتل عدد منهم، وكاد المسلمون يأسرون قائدهم ريموند الأول كونت تولوز لولا إنقاذ حرسه الخاص له[١٨٨].

لقد كان إخراج المسلمين للماشية بمثابة الطُعم المتحرك؛ لجذب الصليبيين، وقد وفِقَ المسلمون في اختيار المكان والوقت المناسبين، الأمر الذي أدى إلى نجاح الخطة بخروج الصليبيين لجمع الماشية؛ فانقض المسلمون عليهم، وأخذوا يتصيدونهم مثل الفئران الهاربة التي تبحث عن مخبأ لها[١٨٩].

تجدر الإشارة إلى أن المسلمين كانوا معتادين على مثل هذا الأسلوب باستمرار، وبطرق مختلفة ومتعددة، فكان يمتد تقهقرهم أحيانًا بضعة أيام، بهدف إرهاق الصليبيين وإبعادهم عن قواعدهم. كما حدث سنة ١١١٠م/٥٠٣هـ، حيث تقهقر الأتراك السلاجقة وانسحبوا إلى حران، وتبعتهم القوات الصليبية التي أنهكها التعب فوقعت مؤخرة الجيش والتي كانت تتألف

غالبيتها من الأرمن ضحية مذبحة جرت على الضفة الشرقية لنهر الفرات بعد انقضاض الأتراك المسلمين عليها(١٩٠).

وسائل تصدي الصليبيين للكمائن الإسلامية:

مع تعدد وقوع الصليبيين في شرك الكمائن الإسلامية، رأوا أنه من الضروري التفكير في وضع خُطط وحيل حربية تجنبهم الوقوع في شرك تلك الكمائن، وذلك عن طريق تطبيق إجراءات تكتيكية مضادة، ومن بين تلك الحيل التي استخدمها الصليبيون هو التجسس لكشف خطة الكمين.

الواقع أن نجاح أي كمين كان يتوقف على السرية التامة التي تحيط بعملية وضعه، فإذا تسرب خبر نصب الكمين إلى العدو؛ شكَّل ذلك خطرًا على أفراد الكمين، لذلك اعتمد الصليبيون على فرقة لاستطلاع الممرات والطرق الحيوية، بعد أن علّمتهم التجارب أن الأتراك المسلمين يكمنون عند مفارق الطرق والممرات والمضايق، لذلك قبل أن يصلوا عند قلعة بوسينات Bucinat، في أوائل سنة ١٠٩٧م/٤٩١هـ، نقلت لهم فرقة الاستطلاع أخبارًا تفيد أن الأتراك المسلمين أعدوا كمينا لهم في مضايق جبل قريب من القلعة، وبفضل تسرب خبر الكمين للأمير ريموند التولوزي اتخذ الأمير مجموعة من الاحتياطات للنجاة من الكمين الإسلامي، فرأى أن يتصدى لحيلة الأتراك بنفس السلاح، فأعد لهم كمينًا هو الآخر، راح ضحيته عدد كبير من الأتراك المسلمين(١٩١).

تكرر الأمر ذاته حينما وصل إلى الصليبيين المحاصِرين للمسلمين بأنطاكية في فبراير سنة ١٠٩٧م/ صفر ٤٩١هـ، خبر الكمين الذي نصبه مسلمو أنطاكية للقوات الصليبية، كما وصلهم خبر الخطة التي أعدها المسلمون مع أمراء النواحي المجاورة لهم والتي كانت تقضي بأن تهاجم جيوش شيزر، وحمص، وحماة، وحلب، ومنبج وغيرها الصليبيين المحاصِرين أنطاكية، في الوقت الذي يخرج فيه الكمناء المسلمون من كمائنهم ويباغتون الصليبيين، فلا يتسنى لأحد منهم النجاة من الموت(١٩٢).

غير أن أمر هذه الخطة لم يلبث أن تسرّب إلى الصليبيين من خلال مجموعة من الخونة المقيمين بأنطاكية، حيث أخبروا القادة الصليبيين باقتراب

هذا الحشد وشرحوا لهم أوضاعه، وكشفوا لهم أمر الكمين المُعَد لهم، لذلك قرر الصليبيون ملاقاة الجيوش الإسلامية على مسافة تبعد عن الكمين الإسلامي عدة أميال، حتى يمنعوا التعاون بين كمناء المدينة، والقوة الإسلامية القادمة لنجدتهم، ونجح الصليبيون في إنزال الهزيمة بالجيوش الإسلامية، وأجبروهم على العودة إلى مدنهم، وبذلك فشل أمر الكمين الذي كان مُعدًا للصليبيين(١٩٣).

كذلك نجا بلدوين الأول من كمين كان قد أعده له الأتراك المسلمون، حينما علموا بعزمه السير إلى مدينة الرها سنة ١٠٩٨م/٤٩١هـ، وذلك بفضل تسرب خبر الكمين الإسلامي إليه، فانحاز الأمير بمن معه من الجند إلى قلعة حصينة كانت لأحد الحكام الأرمن، فأقام بلدوين عنده يومين، فلما طال انتظاره، مل الأتراك المسلمون الانتظار؛ فرفعوا الكمين في اليوم الثالث ورحلوا، وبذلك نجا بلدوين من الوقوع في كمين الترك وواصل سيره إلى مدينة الرها (١٩٤).

وفي رحلة انتقال بلدوين الأول من الرها إلى بيت المقدس في الثاني من أكتوبر سنة ١١٠٠م/ ٤٩٤هـ ليخلف أخاه الراحل جودفري على عرش مملكة بيت المقدس، جمع بلدوين جيشه الصغير، الذي قُدر عدده بحوالي مائتي فارس وسبعمائة من المشاة، وسط إعجاب البعض من جرأته على المسير خلال طرق تكثر فيها الكمائن الإسلامية(١٩٥)، ولما علم شمس الملوك دُقاق صاحب دمشق والأمير جناح الدولة صاحب حمص من عيونهم بقدومه، نصبوا له كمينًا عند ثغر بيروت(١٩٦)، وعند وصول بلدوين الأول مدينة طرابلس علم من واليها أن دقاق صاحب دمشق قد نصب له الكمائن على طول الطريق الذي سوف يمر منه (١٩٧)، ولذلك عمد الملك بلدوين إلى تغيير خط سيره، فزحف من طرابلس مارًا بمدينة جُبيل حتى بلغ نهر الكلب، وسلك بجيشه عبر ممر ضيق شديد الخطر يقع بين البحر وجبل شاهق الارتفاع، كما استعان بمجموعة من رجاله ليكونوا بمثابة فرقة تستطلع الطريق، وبفضل هذه الإجراءات؛ نجح بلدوين في تجنب الكمين الإسلامي، وواصل السير تجاه مدينة بيت المقدس التي وصلها سالمًا(١٩٨).

كذلك فقد تسبب تسرّب خبر الكمين الإسلامي الذي أُعدوه للصليبيين

بالقرب من مدينة أنطاكية في منتصف سنة ١٠٩٨م/٤٩١هـ في فشل الكمين، بل وتحدث فوشيه عن مقتل سبعمائة من المسلمين الأتراك كانوا يشاركون في الكمين، ولم يفقد الصليبيون في هذه المعركة سوى جريح واحد على حد وصفه(١٩٩).

من بين الاجراءات المضادة والحيل أيضًا التي اتخذها الصليبيون للعمل على إفشال الكمائن الإسلامية، هي حيلة التقهقر المضلل، والثابت أنهم أخذوها عن المسلمين الذي كانوا يتقنون هذا الأسلوب القتالي. وقد طبق الصليبيون هذا الأسلوب عند حصن حارم، والذي كان قد كمن فيه عدد من أبسل الأتراك، فلما علم الصليبيون بأمر هذا الكمين، بعثوا مجموعة من الفرسان أمامهم لكشف الموقع وهناك تظاهرت قوة من الجيش الصليبي بالتقهقر أمام الكمين الإسلامي، حتى بلغوا المكان الذي كان بوهيموند الأول وقواته يعسكرون فيه، فوقع المسلمون في الكمين الذي أعده لهم بوهيموند الأول، وفيه قُتل مجموعة من المسلمين ووقعت مجموعة أخرى في الأسر(٢٠٠).

كانت إجراءات الحيطة التي اتخذها الصليبيون ضد التطويق والكمين الإسلامي أكثر إتقانًا إبان الاشتباكات التي وقعت بين قوات الأمير تانكرد وقوات رضوان بن تتش حاكم حلب سنة ١١٠٥م/٤٩٨هـ، حيث قام الصليبيون باستدراج القوات الإسلامية إلى منطقة صخرية غرب مدينة حلب، كي يعوقوا تحرك القوات الإسلامية ومنعها من نصب الكمائن، ولذلك كانت نتيجة المعركة في غير صالح المسلمين(٢٠١).

كذلك اتخذ الصليبيون إجراء تكتيكي مهم تمثل في اهتمامهم بحراسة مقدمة ومؤخرة الجيش، كما كان عليهم أن يضمنوا عدم انفصال فرسانهم عن مشاتهم، وعدم ترك ثغرة في الجيش يستغلها المسلمون، لذلك كان على كل رجل من مقاتليهم ألا يبرح مكانه في الجيش أثناء المسير(٢٠٢).

كان بوهيموند الأول حاكم أنطاكية أول مَنْ وضع هذه الإجراءات الوقائية، وذلك بفضل فهمه لطبيعة أرض بلاد الشام، فوضع تكتيكات صليبية جديدة، كانت في مجموعها تكتيكات دفاعية راعت الحرص واليقظة أثناء التقدم لتجنب التطويق والمفاجأة والوقوع في شرك الكمائن الإسلامية، فكانت القوات الصليبية تتحرك مع وجود حرس قوي من رماة السهام على الأجناب والمؤخرة

لحماية الفرسان حتى تحين اللحظة لهجومهم[٢٠٣]. وقد طبق بوهيموند واريموند كونت تولوز هذه الإجراءات مع السفارة الأجنبية التي جاءت بمعونات ومساعدات للصليبيين سنة ١٠٩٨م/٤٩١هـ، فخوفًا من الكمائن الإسلامية التي كانت قد نُصبت في الطريق الواصل بين الساحل ومدينة أنطاكية، رافقت قوة من الفرسان الصليبيين هذه السفارة، ونجحت في تفادي الوقوع في الكمين الإسلامي المعد مسبقًا، وبذلك نجت السفارة المكونة من مجموعة من الدواب كانت تحمل المؤونة للصليبيين[٢٠٤]. أما الجيش الصليبي نفسه فقد تولى الملك بلدوين الأول قيادة حرس مقدمته، بينما اتخذ فرسان أنطاكية أماكنهم على كلا الجناحين، واختير رايموند الرابع كونت تولوز لقيادة حرس المؤخرة، ومعه نخبة من الفرسان الأشداء ليقينهم بأن المسلمين يركزون جهودهم الرئيسة على مؤخرة الجيش. وهكذا أصبحت غالبية السوقة والعُزّل من السلاح مع متاعهم محمية بحراسة مرافقة من جميع الجهات[٢٠٥]. وبذلك نجا الجيش من الكمين الإسلامي.

كما أملت الظروف التي عاشها الصليبيون في منطقة الشرق الإسلامي الاحتفاظ بجزء من القوة احتياطيًا، زيادة في الحذر لمقاتلة أي قوة من العدو كامنة تسعى إلى الالتفاف حول الجيش[٢٠٦]. فعندما كمن المسلمون لمؤخرة الجيش الصليبي وهو في طريقه من معرة النعمان إلى عرقة سنة ١٠٩٩م/٤٩٢هـ، وأخذوا يسطون على أمتعتهم مرة تلو الأخرى، رأى الأمير رايموند كونت تولوز ضرورة وضع مجموعة من الفرسان المسلحين لحراسة مؤخرة الجيش الصليبي، وبهذا الإجراء فشل المسلمون في اصطياد مؤخرة الجيش، وفضلًا عن ذلك، سار ريموند بنفسه ومعه تانكريد وأسقف مدينة البارة في طليعة الجيش الصليبي، وبذلك قطعوا الطريق على الكمناء المسلمين، فلم يستطيعوا أن ينالوا من مقدمة ومؤخرة الجيش الصليبي[٢٠٧].

حاول الصليبيون معالجة مشكلة الكمائن الإسلامية، من خلال البحث عن حماية مانع طبيعي يعصمهم من سيوف المسلمين، أو بناء بعض القلاع[٢٠٨]، ففي سبيل الحد من خطر الكمائن الإسلامية، لجأ الصليبيون إلى بناء قلعة المرقب على الطريق الواصل بين مدينتي طرسوس وبانياس، والذي كثيرًا ما كان موضع للكمائن الإسلامية، وقد أشرفت هذه القلعة الحصينة على

تحركات المسلمين وراقبت تحركاتهم، وحدت من خطر كمائنهم[٢٠٩]. وحتى يتفادى الصليبيون خطر الكمائن الإسلامية التي شنها مسلمو أنطاكية، والتي راح ضحيتها العديد من الجنود الصليبيين، قرر الصليبيون في اجتماع عاجل بناء حصن مقابل لمدينة أنطاكية يشرف على الطرق الرئيسية المؤدية إلى المدينة، حتى يراقبوا تحركات المسلمين، ويفشلوا أمر أي كمين ينصب لهم هناك، وعهدوا لرايموند كونت تولوز بحراسة هذا الحصن، وبفضل هذا الحصن عجز المسلمون عن وضع الكمائن في تلك الجهة [٢١٠].

كذلك فإن ترميم الصليبيين لأحد الحصون التي تبعد عن أنطاكية خمسة أو ستة أميال كان بمثابة أحد الإجراءات التي اتخذها الصليبيون لصد هجمات المغيرين على أنطاكية، وفي الوقت نفسه كان عقبة كؤود في وجه الكمناء والجماعات المتسللة إليها[٢١١].

ولما كانت مدينة غزة مصدر إزعاج للصليبيين بسبب الغارات التي كان يشنها المسلمون منها تارة جهرًا، وتارة من خلال الكمائن، اضطر الصليبيون إلى ضرورة السيطرة على تلك المدينة، وبناء قلعة بها تراقب تحركات المسلمين، وبفضل الاستيلاء عليها وبناء قلعة بها، أصبحت حسب وصف وليم الصوري تستخدم كخط دفاع حصين من الناحية الجنوبية، وصارت مظلة أمان كبرى بعد أن توقفت الكمائن التي كان ينصبها المسلمون بها[٢١٢].

من بين إجراءات الصليبيين لصد خطر الكمائن الإسلامية، اعتمادهم على بعض السكان المحليين مثل السريان والأرمن. والواقع أن هذه الفئات شكَّلت احتياطًا جيدًا في تزويد الجيش الصليبي بالقوات الضرورية في أوقات الحرج، وقد استفاد الصليبيون فعلًا من هذه العناصر المحلية في أكثر من مناسبة، وقد ساعدهم على ذلك معرفتهم الواسعة بجغرافية المناطق الإسلامية بحكم العيش بين ظهراني المسلمين، فضلًا عن درايتهم بطبيعة المقاتل الإسلامي، لذلك اعتمد الصليبيون عليهم في التصدي للكمائن الإسلامية، ففي فبراير سنة ١٠٩٨م/٤٩٢هـ وحسب رواية صاحب الجيستا، أفسد السريان والأرمن كمينًا للمسلمين كانوا قد نصبوه بالقرب من مدينة أنطاكية، ولم تنجح العناصر السريانية الأرمنية في إفساد الكمين فحسب، بل ونصبوا للأتراك المسلمين الفارين من أنطاكية عبر الممرات كمينًا راح ضحيته الكثير من

المسلمين ما بين قتيل وأسير [٢١٣].

وعندما نصب الأتراك المسلمون كمينًا للصليبيين عند مدينة سميساط الحصينة، أطلع أحد الأرمن الصليبيين محذرهم من الكمين الإسلامي المعد لهم، بل وقام بإيواء الجيش الصليبي بقلعته لمدة يومين، وبذلك فشل الكمين في اصطياد الجيش الصليبي[٢١٤] .

إضافة إلى كل الإجراءت الصليبية السابقة، فقد قابل الصليبيون الكمائن الإسلامية في بعض الأحيان بكمائن مثلها، وهو إجراء يمكن تسميته "بالكمائن المضادة". فعندما تعرض الجيش الصليبي بقيادة الكونت رايموند كونت تولوز، وتانكريد، وروبرت دوق نورماندي، وأسقف البارة وهم في طريقهم من مدينة معرة النعمان إلى مدينة عرقة في أوائل سنة ١٠٩٩م/٤٩٢هـ، لكمائن نصبها بعض العامة من المسلمين – ممن أسماهم وليم الصوري أوشاب الناس !– والتي أسفرت عن وقوع العديد من الصليبيين في الأسر، ردّ الكونت رايموند على هذه الكمائن بكمائن مضادة، حيث أمر الجيش الصليبي بالزحف بقيادة كل من تانكريد وروبرت وأسقف البارة، بينما تخلف هو وبعض جنوده، فنصب كمينًا للكمناء المسلمين الذين اعتادوا مهاجمة مؤخرة الجيش الصليبي ، وقد راح ضحية الكمين الصليبي المضاد مجموعة المسلمين بين قتيل وجريح؛ الأمر الذي أفسح المجال للصليبيين لمتابعة سيرهم آمنين [٢١٥].

وفي مناسبة أخرى، ردّ تانكريد على كمين إسلامي بمثله، فنصب للمسلمين الذين خرجوا للمرعى كمينًا عند مدينة طرسوس، راح ضحيته العديد من المسلمين الأتراك[٢١٦].

لم تتوقف إجراءات الصليبيين عند استخدام الأساليب السابقة فقط، بل لجأ الصليبيون إلى إجراءات أخرى، في صورة تطهير الأماكن الخطرة والتي كثيرًا ما كانت تُستغل في نصب الكمائن. ففي خطوة للحد من خطورة طريق الرملة – القدس والذي كانت تكثر به الكمائن، أمر الملك بلدوين الأول بتطهير هذا الطريق من هؤلاء الكمناء، ومطاردتهم، فجرى إلقاء مواد قابله للاشتعال أمام مداخل الكهوف التي كانوا يختبئون بها واضرام النار فيها، وكان الهدف من ذلك إرغام الفارين المختفين في المخابىء على الاستسلام، وإلا ماتوا اختناقًا من الدخان الكثيف[٢١٧].

وخوفًا من كمائن المسلمين وتجبنًا لها كان الصليبيون يفضلون الطرق البحرية على الطرق البرية، ولعل هذا يفسر اضطرار الملك بلدوين الأول سنة ١١٠٢م/٤٩٥هـ لتغيير طريقه البري من يافا لأرسوف ليسلك الطريق البحري [٢١٨]، وفي أكثر مناسبة كان الجيش الصليبي يضطر إلى اتخاذ الطريق البحري، بدلًا من الطريق البري حتى يتفادى الوقوع في شَرَك الكمائن الإسلامية[٢١٩].

وبرغم كل تلك الإجراءات المُتَبعة، لم يُفلح الصليبيون في القضاء على خطر الكمائن الإسلامية قضاءً تامًا؛ والدليل على ذلك ما رصدته الدراسة من كمائن إسلامية، بلغت خلال الفترة قيد البحث ستة وثلاثين كمينًا ناجحًا، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا العدد هو ما رصدته المصادر المعاصرة، وأن هناك بلا شك كمائن أخرى لم تُسجلها أقلام المؤرخين المعاصرين. وإذا تم توزيع هذه الكمائن على فترة الدراسة، سيتضح أن السلاجقة نفّذوا سبعة عشر كمينًا ناجحًا، بينما شهد عهد عماد الدين زنكي تنفيذ ثلاثة كمائن، شارك هو بنفسه في أحدها، في حين شهد عهد ابنه نور الدين محمود تنفيذ سبعة كمائن، وشهد عهد صلاح الدين الأيوبي تسعة كمائن.

كما يُلاحظ أن السنوات العشر الأولى الممتدة من سنة ١٠٩٦م إلى ١١٠١م شهدت تنفيذ أحد عشر كمينًا ناجحًا، أي بمعدل كمين على الأقل في السنة الواحدة. وهو ما يُدلل على أمرين: أولهما، اصرار المسلمين على التصدي للإحتلال الصليبي، ومقاومته بكل قوة. وثانيهما، أن الصليبيين لم يكن لديهم أية نظريات مدروسة للتصدي لتلك الكمائن.

كذلك يُلاحظ اعتماد المسلمين على الكمائن النهارية أكثر من الليلية، فمن بين الستة وثلاثين كمينًا لُوحظ تنفيذ ثلاثة وثلاثين كمينًا بالنهار، وثلاثة فقط ليلًا، وهو أمر طبيعي، فبالنهار تَسهُل عملية القيادة والسيطرة، كما يَسهُل تحديد الهدف، بعكس الليل الذي تقل فيه الرؤية وتَصعُب المراقبة.

نتائج الدراسة

في ختام هذه الدراسة خلص الباحث منها ببعض النتائج، أهمها:

أولًا: أوضحت الدراسة أن الكمين كان واحدًا من أساليب الخدع العسكرية التي استخدمها المسلمون ببراعة في معاركهم ضد الصليبيين. وقد لاقت هذه

الكمائن النجاح لعدة اعتبارات، أولها أن المسلمين كانوا أدرى ببلادهم وطبيعتها الجغرافية، وثانيا استغلالهم لجهل الصليبيين بجغرافية وطبيعة البلدان الإسلامية. كما استغلت القوات الإسلامية الامكانات الطبيعية لبلاد الشام، مثل الجبال، والتلال، والغابات الكثيفة، والمناطق التي تكثر فيها الوديان، وبالقرب من ينابيع المياه والآبار، حيث كانوا يفضلون نصب الكمائن في مثل تلك المناطق، لما توفره من مميزات لاسيما أثناء الهجوم ثم التراجع والانسحاب.

ثانيًا: رصدت الدراسة كيف كان جنود الكمين يُختارون بدقة من بين أفضل الجنود شجاعة، وأعلاهم مرتبة، وأقواهم قلبًا، وأكثرهم ذكاءً، وذلك لأنه كان يوكل إليهم بعمل عسكري خطير أشبه ما يكون حاليًا بعمل الفرق العسكرية الخاصة.

ثالثًا: بلغ الاهتمام بالكمائن أنه كان يشارك فيها نُخبة من كبار القيادات العسكرية في الجيش الإسلامي، حيث شارك في بعض تلك الكمائن السلطان قلج أرسلان، وعماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، والملك العادل، ومجموعة من كبار رجال البيت الأيوبي، أمثال الملك المظفر تقي الدين، وابنه ناصر الدين محمد، والملك الأفضل ابن صلاح الدين، والملك المعظم تورانشاه أخو صلاح الدين، والملك الصالح إسماعيل وغيرهم. وقد بلغ من الاهتمام بالكمين أيضًا، أن السلطان صلاح الدين نفسه كان يركب وبصحبته ابن شداد قاصدًا جهة الكمين ليرصد أخباره ونتائجه.

رابعًا: أوضحت الدراسة الدور الذي لعبته الكمائن في الحروب الصليبية، إذ تم استخدامه ضمن حيل الحروب الاستراتيجية، أو ما يمكن أن نُطلق عليه "حرب الكمائن". وقد طبّق كل من السلطان قلج أرسلان، وعماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين هذا النوع من الحرب خلال معاركهم مع الصليبيين.

خامسًا: أظهرت الدراسة أن للكمين الناجح عدة مقومات، منها: حُسن اختيار أفراد الكمين، وكذلك الجياد المُستخدَمة، واختيار موقع الكمين بشكل جيد، الإلمام الدقيق بالعدو وتحركاته، وكذلك حُسن القيادة والسيطرة، والتخفي والتمويه، واختيار التوقيت المُناسِب للكمن.

سادسًا: ليس صحيحًا ما تردد عند بعض المؤرخين المحدثين من عدم جدوى أسلوب الكمائن في احراز نصر كامل، فقد حققت الكمائن أهدافًا عدة منها، تدمير قوة الجيش الصليبي، واستنزاف قوته، وذلك بقتل جنوده، والاستيلاء على عُدته وعتاده، وجياده، وكذلك قطع خطوط الامداد عن الصليبيين، ومنعهم من تلقي المؤنة القادمة من الغرب الأوروبي، وإشعار الكيان الصليبي بجملته بعدم الراحة والاطمئنان. مع الوضع في الاعتبار أن حرب الكمائن لم يمكن لها أن تُعوّض دور الجيوش النظاميّة، والمعارك المباشرة.

سابعًا: لا شك أن نجاح هذه الكمائن في قتل الصليبيين أو أسر زعمائهم كان له نتائج كبيرة على المسلمين والصليبيين، فبالنسبة للمسلمين ارتفعت معنوياتهم، وشجَّعهم ذلك على مهاجمة الممتلكات الصليبية، بعد أن تأكد لهم أنهم قادرين على هزيمة القوات الصليبية، وإجلائها من الأراضي الإسلامية. أما فيما يتعلق بالنتائج الخاصة بالصليبيين، ففي كل مرة كان يُؤسر فيها زعيم صليبي، كان الكيان الصليبي يزداد ضعفًا وإرتباكًا. ويُلاحظ من خلال الدراسة أن الكمائن لم تُسفر فقط عن أسر زعماء سياسيين فقط، ولكن أسفرت أيضًا عن أسر رجال دين كبار في صورة بطاركة وأساقفة، وكذلك موظفين كبار في القصر الملكي، فكان لأسر كل هؤلاء أثر بالغ أضر بالكيان الصليبي.

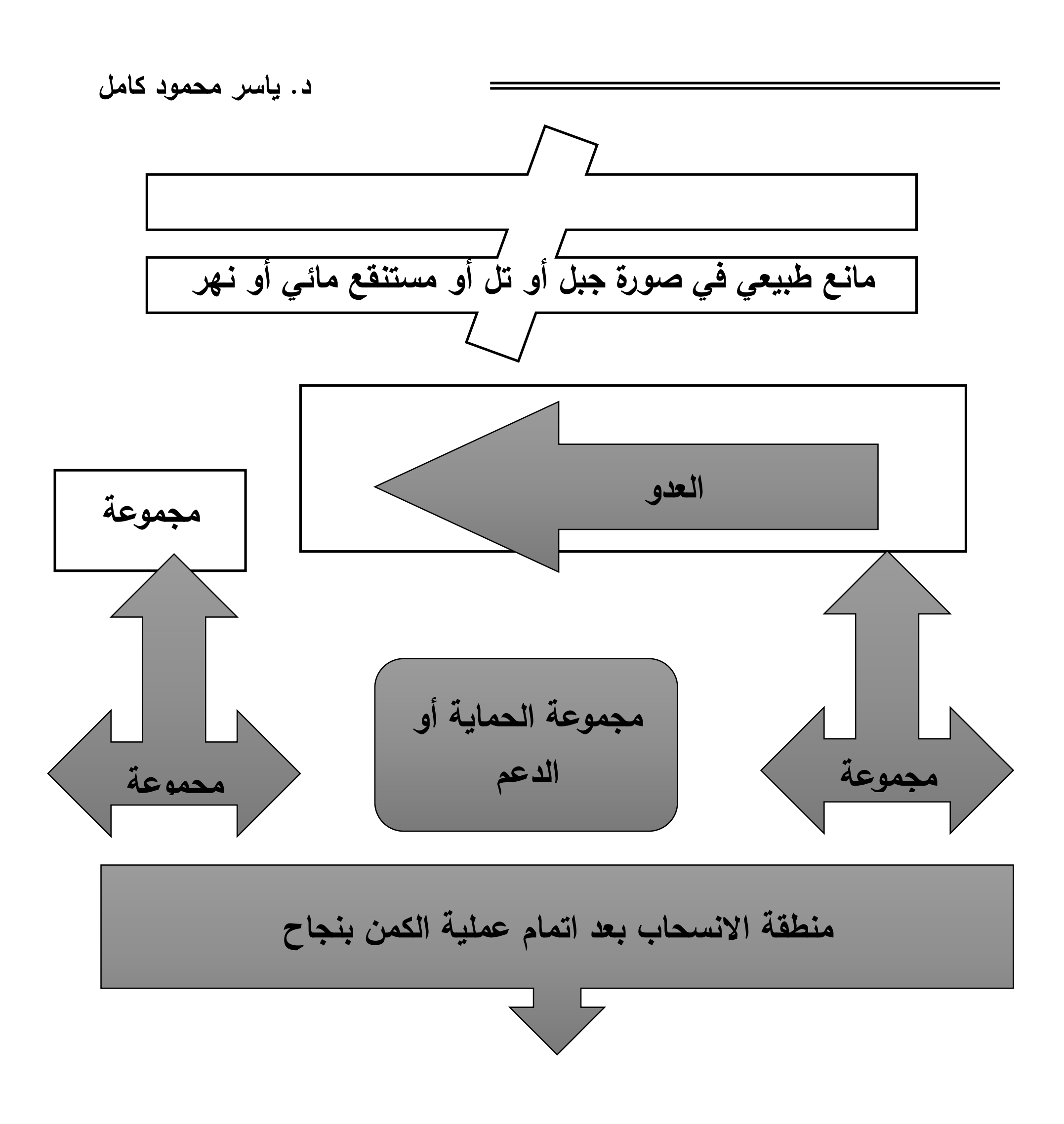
ثامنًا: بيَّنت الدراسة أن المسلمين عرفوا العديد من أساليب الكمن، فطبقوا على سبيل المثال أسلوب التقهقر المُضلل، وأسلوب وضع طعم لاجتذاب القوات الصليبية، وقد نجحت هذه الأساليب في الايقاع بالجيوش الصليبية.

تاسعًا: وأخيرًا أوضحت الدراسة أن الصليبيين تعلَّموا من تجربة المسلمين في استخدام الكمائن، فبدأوا في وضع خُطط وحيل حربية تُجنبهم الوقوع في طوق تلك الكمائن، والعمل على إفشالها والحد من خطرها، وذلك عن طريق تطبيق إجراءات تكتيكية مضادة، منها: التجسس لكشف خطة الكمين، ووضع حراسة لحماية موخرة الجيش ومقدمته، كما لجأ الصليبيون إلى بناء بعض القلاع والحصون لمراقبة طُرُق، وتحركات المسلمين، والاستعانة بالسُريان والأرمن في كشف الكمائن الإسلامية، واستخدام كمائن مضادة، وغيرها من الخطط والحيل التي أخذوها عن المسلمين.

ملاحق الدراسة

شكل (١) : يوضح عدد الكمائن الإسلامية خلال مرحلة الدراسة

م	تاريخ الكمين	مكان الكمين	توقيت الكمين
١	أكتوبر ١٠٩٦م/ شوال ٤٨٩هـ	عند واد ضيق	نهارا
٢	أكتوبر ١٠٩٦م/ شوال ٤٨٩هـ	بالقرب من غابة	نهارا
٣	يونيو ١٠٩٧م/جمادى الأخرى٤٩٠هـ	عند جسر	نهارا
٤	يونيو ١٠٩٧م/ جمادى الأخرى٤٩٠هـ	بغابة	نهارا
٥	مارس ١٠٩٨م/ ربيع أول ٤٩١هـ	عند مفترق طرق	نهارا
٦	ممما ١٠٩٨م/ ربيع أول ٤٩١هـ	عند ميناء	نهارًا
٧	يناير ١٠٩٩م/ صفر ٤٩٢هـ	بأحد السهول	نهارا
٨	أغسطس ١١٠٠م/ رمضان ٤٩٣هـ	لم تحدده المصادر	نهارًا
٩	أغسطس ١١٠١م/ ذو القعدة ٤٩٤هـ	عند مفترق طرق	نهارا
١٠	أغسطس ١١٠١م/ ذو القعدة ٤٩٤هـ	بأحد السهول	نهارا
١١	مايو ١١٠٤م/ شعبان ٤٩٧هـ	بأحد السهول	نهارًا
١٢	١١٠٨م/٥٠٢هـ	بطريق وعر	نهارًا
١٣	١١١٠م/٥٠٣هـ	بالقرب من نهر	نهارًا
١٤	١١١٣م/٥٠٧هـ	عند جسر	نهارا
١٥	مايو ١١١٩م/ربيع أول ٥١٣هـ	بطريق وعر	نهارا
١٦	١١٢٣م/٥١٧هـ	بغابة	نهارا
١٧	أبريل ١١٢٣م/صفر ٥١٧هـ	بالقرب من نهر	ليلًا
١٨	ديسمبر ١١٣٠م/ ذو الحجة ٥٢٤هـ	بواد ضيق	نهارًا
١٩	يوليو ١١٣٧م/شوال ٥٣١هـ	بالقرب من حصن	نهارا
٢٠	١١٣٧م/ ٥٣١هـ	لم تحدده المصادر	نهارا
٢١	نوفمبر ١١٤٦م/ جمادى الأولى ٥٤١هـ	بصحراء	نهارًا
٢٢	أبريل ١١٥٧م/ربيع أول ٥٥٢هـ	عند شعاب	نهارًا
٢٣	يونيو سنة ١١٥٧م/ ربيع الأول ٥٥٢هـ	بواد ضيق	نهارًا
٢٤	نوفمبر سنة ١١٦٠م/ ذو القعدة ٥٥٥هـ	عند ممر ضيق	نهارًا
٢٥	سنة ١١٦٤م/٥٥٩هـ	عند مستنقع	نهارا
٢٦	سنة ١١٦٥م/٥٦٠هـ	لم تحدده المصادر	نهارًا
٢٧	أبريل ١١٦٧م/ جمادى الأخرى٥٦٢هـ	بأحد التلال	نهارًا
٢٨	يوليو ١١٨٩/ جمادى الأخرى ٥٨٥هـ	بواد ذي شعب	نهارا
٢٩	شعبان ٥٨٥هـ/سبتمبر ١١٨٩م	بواد ذي شعب	نهارا
٣٠	شوال سنة ٥٨٦هـ/ نوفمبر١١٩٠م	عند سفح تل	ليلًا
٣١	١١٩٠/٥٨٦هـ	لم تحدده المصادر	نهارًا
٣٢	شوال سنة ٥٨٧هـ/ أكتوبر ١١٩١م	بطن وادي	نهارًا
٣٣	رمضان ٥٨٧هـ / نوفمبر ١١٩١م	بطريق وعر	ليلًا
٣٤	جمادى الأولى سنة ٥٨٨هـ/ مايو١١٩٢	بطريق وعر	نهارًا
٣٥	جمادى الثانية سنة ٥٨٨هـ/ يونيو١١٩٢	بطريق وعر	نهارا
٣٦	سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م	بطريق وعر	نهارا



شكل (٢)

رسم تخطيطي لكمين

هوامش الدراسة:

(١) فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (١٠٩٧-١١٩٣م)، ترجمة محمد وليد الجلاد، مركز الدراسات العسكرية، دمشق ١٩٨٢م.

(٢) "الحيل والخدع العسكرية الإسلامية منذ بداية الغزو الصليبي حتى وفاة نور الدين محمود (١٠٩٨-١١٧٤م/٤٩٤-٥٦٩هـ)، ضمن كتاب: دراسات في تاريخ مصر البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٦م.

(٣) فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية، المجلد الرابع، دار الفكر، ط.١، بيروت ١٩٨٨م.

(٤) "الاستراتيجية العسكرية الإسلامية ضد الصليبيين حتى نهاية العصر الأيوبي"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، الرياض ٢٠١٠م.

(٥) "أساليب القتال الإسلامية-الصليبية: عصر الحروب الصليبية"، *مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية*، مج٤٦، القاهرة ٢٠٠٩م.

(٦) "الحيل الحربية والتكتيك العسكري زمن السلطان نور الدين محمود: حصن حارم نموذجًا"، مج٧٤، ج٧، *مجلة كلية الآداب-جامعة القاهرة*، ٢٠١٤م.

(٧) أنيس، ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية- مكتبة الشروق الدولية، ط.٤، القاهرة ٢٠٠٤م، مج١، ص٧٩٩ ؛ عمر، أحمد مختار وآخرون: العربية المعاصرة، علم الكتب، ط.١، القاهرة ٢٠٠٨م، ص١٩٦٠-١٩٦١.

(٨) حسين، محسن محمد: الجيش الأيوبي في عصر صلاح الدين، دار ئاراس، أربيل ٢٠٠٣م، ص١٢٠؛ ابن نصرة الله: الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص٧٩؛ حماد، فتحي أحمد محمد: العيون والجواسيس في بلاد الشام في العهدين الزنكي والأيوبي (٥٢٢-٦٤٨هـ/١١٢٨-١٢٥٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة ٢٠١١م، ص٦٠.

(٩) ابراهيم خميس ابراهيم: "الحيل والخدع العسكرية الإسلامية، ص١٣٢؛ ابن نصرة الله: الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص٧٩؛ حماد، فتحي أحمد محمد: العيون والجواسيس في بلاد الشام، ص٦٠.

(١٠) الأوسي، عمر بن ابراهيم: ***تفريج الكروب*** في تدبير الحروب. نقلا عن سعداوي، نظير حسان: التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، مكتبة النهضة المصرية، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ص٢٢٢؛ ابراهيم خميس ابراهيم: "الحيل والخدع العسكرية الإسلامية، ص١٣٢؛ حسين، محسن محمد: الجيش الأيوبي في عصر صلاح الدين، ص١٢١؛ ابن نصرة الله: الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص٧٩؛ حماد، فتحي

أحمد محمد: العيون والجواسيس في بلاد الشام، ص٦٠.
وفق ما قررته المصادر الإسلامية والصليبية المعاصرة فقد توافرت الشروط في الكُمناء المسلمين الذين نفّذوا عمليات الكمن ضد الصليبيين. فصاحب الجيستا وصف فرقة من الفرسان السلاجقة كمنت لجيش الحملة الصليبية الأولى وهو في طريقه لإمارة أنطاكية سنة ١٠٩٨م/٤٩١هـ، بالفرسان البواسل الذين أقضوا مضاجع الصليبيين. انظر: مجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة وتقديم وتعليق: حسن حبشي، القاهرة ١٩٥٨م، ص٥٠-٥١.
كذلك وصف الرحالة دانيال الروسي مجموعة من الكُمناء المسلمين الذين شاهدهم يكمنون بمدينة بيسان بأنهم "مجموعة من الفرسان الأقوياء الذين دأبوا على الكمن للصليبيين عند مخاضات الأنهار". انظر: دانيال الروسي: وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة سعيد البيشاوي، داود أبو هدبة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٣م، ص ٩٣.
وفي معرض حديثها عن الكمين الذي نصبه الأتراك السلاجقة للحملة اللمباردية عند مقاطعة مرسيفان Mersivan بأنقرة (أنكورية) في أغسطس ١١٠١م/ ذي القعدة سنة ٤٩٤هـ، أشادت المؤرخة البيزنطية آنَّا كومنين بشجاعة وقوة الكُمناء السلاجقة. انظر: أنّا كومنين: ألكسياد، ترجمة حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، ط.١، القاهرة ٢٠٠٤م، ص٤٤٠-٤٤١.
كما أثنى ابن القلانسي على مجموعة الفرسان الذين كمنوا للصليبيين عند مخاضة يعقوب واصفا إياهم بالفرسان الشجعان. انظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: آميدروز، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م، ص٣٣٩.
كذلك حين أراد السلطان صلاح الدين الأيوبي أن ينصب كميناً لفرقة عسكرية صليبية سنة ١١٨٩م/٥٨٥هـ عند جبل تبنين، اختار مجموعة من الفرسان الشجعان ليكمنوا للصليبيين هناك. كذلك انتخب السلطان صلاح الدين في الثاني والعشرين من شوال سنة ١١٩٠م/٥٨٦هـ مجموعة من الفرسان لتنفيذ كمين وصفهم ابن شداد "بالشجعان الأبطال". انظر: ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٦٤م، ص١٥٩، ص٢٢٨-٢٢٩.
(١١) بكتوت الرّمّاح: نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسية. نقلا عن سعداوي، نظير حسان: التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، ص٢٢٢.

(١٢) سعداوي، نظير حسان: التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، ص٢٢٢؛ ابراهيم خميس: "الحيل والخدع العسكرية الإسلامية، ص١٣٢-١٣٤؛ حسين، محسن محمد: الجيش الأيوبي في عصر صلاح الدين، ص١٢١؛ ابن نصرة الله: الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص٧٩-٨٠؛ حماد، فتحي أحمد محمد: العيون والجواسيس في بلاد الشام، ص٦١.
بمطالعة المصادر الإسلامية والصليبية نجد أن الخيول التي شاركت في الكمائن الإسلامية، قد تحققت فيها الشروط اللازمة. حيث وصف وليم الصوري خيول المسلمين التي شاركت في كمين للصليبيين بالقرب من مدينة أرتاح سنة ١٠٩٨م/٤٩١هـ بأنها جياد خفيفة في الحرب، كما أشار المؤرخ نفسه في موضع آخر إلى اعتماد المسلمين في حروبهم على الجياد سريعة العدو. انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ت. حسن حبشي، ٤ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.القاهرة ١٩٩٢م، ج١، ص٢٦٧؛ ج٣، ص٢٧٧.
أما ابن شداد فوصف الجياد التي أمر السلطان صلاح الدين باستخدمها في كمين سنة ١١٨٩م/٥٨٥هـ بالسليمة خفيفة الحركة. انظر: النوادر، ص١٦٩.

(١٣) سعداوي، نظير حسان: التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، ص٢٢٢؛ حماد، فتحي أحمد محمد: العيون والجواسيس في بلاد الشام، ص٦١. للمزيد عن الخيول ودورها في الحروب الصليبية. انظر: رحيل، محمد فوزي مصري: "قانون التأمين على خيل الحرب في مملكة بيت المقدس الصليبية: قراءة في مجموعة قوانين بيت المقدس"، العدد (١)، *حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط*، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة ٢٠١١م، ص٣٠٠ وما بعدها.

(١٤) ابراهيم خميس: "الحيل والخدع العسكرية الإسلامية"، ص١٣٤؛ ابن نصرة الله: الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص٨٠.

(١٥) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٧٧.

(١٦) ابراهيم خميس: "الحيل والخدع العسكرية الإسلامية، ص١٣٢-١٣٤؛ حسين، محسن محمد: الجيش الأيوبي في عصر صلاح الدين، ص١٢١؛ ابن نصرة الله: الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص٨٠؛ حماد، فتحي أحمد محمد: العيون والجواسيس في بلاد الشام، ص٦١.

(١٧) عن أمثلة الكمائن الجبلية. انظر: فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي في فلسطين

"تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م"، ترجمة ودراسة وتعليق: قاسم عبده قاسم، ط.١، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠١، ص١١١؛ دانيال الروسي: وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ص٤٨؛ بنيامين التطيلي: رحلته، ت: عزرا حداد، دراسة وتقديم: عبدالرحمن عبدالله الشيخ، المجمع الثقافي، ط.١، أبو ظبي ٢٠٠٢م، ص٣٣٧.

(١٨) عن أمثلة للكمائن التي نصبها المسلمون للصليبيين في الشعاب والطرق الضيقة الوعرة. انظر: فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي، ص١٤٦؛ دانيال الروسي: رحلة الحاج الروسي دانيال، ص ص٤٨،٦٢، ٩٠؛ بنيامين التطيلي: رحلته، ص٣٣٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٢٤.

(١٩) عن أمثلة لكمائن الغابات. انظر: ألبرت فون آخن: تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ترجمة وتحقيق: سهيل زكار، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٥١، دمشق ٢٠٠٧، ج٥١، ص٢٤-٢٦؛ ريموندداجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلى الإنجليزية مع مقدمة وهوامش جون هيوم هيل ولوريتال هيل، نقله إلى العربية وعلق عليه حسين محمد عطية، تقديم: جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٩م، ص٧٨؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٤؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج١، ص١٢٣، ج٣، ص٣٢٧ ؛ رانسمان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، ط.٣، القاهرة ١٩٩٣م، ج١، ص٢٠١-٢٠٥.

(٢٠) عن أمثلة لكمائن المستنقعات. انظر: فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي، ص١٠٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٢٤.

(٢١) عن كمائن الجسور والأنهار. انظر: ريموندداجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص ص٨٦ ، ٨٧؛ فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي، ص٢٢٠-٢٢١؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج١، ص ص٢٨٩-٢٩٠، ٣١٦.

(٢٢) ابن منقذ، أسامة: كتاب الاعتبار، تحقيق: فيليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص٤٦-٤٧؛ حماد، فتحي أحمد محمد: العيون والجواسيس في بلاد الشام، ص٦١.

(٢٣) اليَزك: لفظ فارسي يعني رئيس العسس، ومعناه مقدمة الجيش، وتُطلق أيضًا على الجاسوس. انظر: السيد ادّى شير: كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب، ط.٢، القاهرة ١٩٨٧-١٩٨٨م، ص١٦١؛ حماد، فتحي أحمد محمد: العيون والجواسيس في بلاد الشام، ص٥٦. وانظر: فواز: دور اليزك في جيش صلاح الدين الأيوبي خلال

الحروب الصليبية، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج١، عدد (١)، جامعة تكريت ٢٠٠٩م، ص٧١-٧٢.

(٢٤) حماد، فتحي أحمد محمد: العيون والجواسيس في بلاد الشام، ص٥٦.

(٢٥) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٧٧.

(٢٦) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٩٨-٣٠٠؛ أبو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق وتعليق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط.١، بيروت ١٩٩٧م، ج٣، ص٧٣-٧٦، ج٤، ص٢٤١.

(٢٧) ابراهيم خميس: "الحيل والخدع العسكرية الإسلامية"، ص١٣٤.

(٢٨) سميل: فن الحرب عند الصليبيين، ص ص١٣٤-١٣٥، ١٣٩؛ ابن مارس، كمال: أساليب القتال الإسلامية-الصليبية، ص٩١.

(٢٩) مجهول: أعمال الفرنجة، ص٥٠.

(٣٠) فوشيه الشارتري: الإستيطان الصليبي، ص١٤٦.

(٣١) الحروب الصليبية، ج١، ص٢٩٠.

(٣٢) ألكسيوس كومنين: إمبراطور بيزنطي، ولد حوالي عام ١٠٥٧م، وهو الابن الثالث ليوحنا كومنين John Comnenos وزوجته آنَّا دالاسينا Anna Dalassena، وقد حكم الإمبراطورية البيزنطية في الفترة من ١٠٨١م وحتى وفاته سنة ١١١٨م. انظر: عوض، محمد مؤنس: معجم أعلام الحروب الصليبية في الشرق والغرب: القرنان ١٢و١٣م، مكتبة الآداب، ط.القاهرة ٢٠١٥م، ص٥٨٦.

(٣٣) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج١، ص٣٩٠.

(٣٤) أنّا كومنين: ألكسياد، ص٤٣٣-٤٣٤.

(٣٥) سايولف: وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، دار الشروق، ط.١، عمان ١٩٩٧م، ص٢٣؛ دانيال الروسي: وصف الأرض المقدسة في فلسطين، ص٤٧-٤٨.

اعتاد الرحالة والمؤرخون الأوربيون على وصف المسلمين الذين كانوا يكمنون للصليبيين بأنهم لصوص وقطاع طرق، وأن عملياتهم لم يكن الهدف منها سوى السلب والنهب، وقتل الحجاج المسيحيين، وكأنهم بذلك يُنكِرون حق المقاومة الإسلامية ضد الغزاة الصليبيين، وهي بلا شك أوصاف مخالفة للحقائق التاريخية التي تؤكد أن الجماعات الإسلامية المسلحة، كانت توجه جهودها لمحاربة الجنود والفرسان الصليبيين، وليس

الحجاج المسيحيين الذي كفل لهم الإسلام حق ممارسة شعائرهم دون أي أذى. انظر: عبدالمنعم، سرور علي: طريق يافا–القدس ودوره في الصراع الصليبي الإسلامي (١٠٩٩–١١٥٣م/٤٩٢–٥٤٨هـ)، العدد (٢٥)، *مجلة بحوث الشرق الأوسط*، جامعة عين شمس، سبتمبر ٢٠٠٩م، ص١٣٨–١٣٩.

(٣٦) يُعد طريق يافا–القدس واحد من أهم الطرق الرئيسة التي سلكها الحجاج القادمون من أوروبا لزيارة الأماكن المقدسة في أنحاء المملكة الصليبية، إلى جانب وصول النجدات والمؤن الصليبية عبره باعتباره أقرب طريق يربط بين بيت المقدس والساحل وبالتحديد ميناء يافا. وهو طريق يمر بمناطق ذات طبيعة جبلية، إلى أن يصل للسهل الساحلي ، وقد بلغ امتداده سبعة وستين كيلومتر، يبدأ من غرب بيت المقدس من باب يافا ويستمر في الامتداد على هضبة القدس نفسها ثم يعبر دير ياسين، وأبوغوش، ثم الرملة. انظر: عوض، محمد مؤنس: الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس ١٠٩٩–١١٨٧م، مكتبة مدبولي، ط.١، القاهرة ١٩٩٢م، ص٤٥–٤٦، ٧٨–٧٩ ؛ عبدالمنعم، سرور علي: طريق يافا–القدس، ص١٣٧.

(٣٧) سايولف: وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس، ص٢٣–٢٤ ؛ دانيال الروسي: وصف الأرض المقدسة في فلسطين، ص ص٢٩– ٣٠؛١٠١،٩٣،٩٠،٦٢.

(٣٨) دانيال الروسي: وصف الأرض المقدسة في فلسطين، ص٢٩– ٣٠.

(٣٩) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج١، ص٢٩٠–٢٩١.

(٤٠) الاستيطان الصليبي، ص٢٢٣.

(٤١) الاستيطان الصليبي، ص٢٢٣. وللمزيد أنظر. وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص١٨٠.

(٤٢) جيرموند: تولى بطريركية بيت المقدس سنة ١١١٨م خلفًا للبطريرك الراحل أرنولف دي شوك Arnulf de Chocques، وظل بمنصب البطريركية حتى وفاته سنة ١١٢٨م. عنه بالتفصيل انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٤٤ ؛ سعيد البيشاوي: الممتلكات الكنسية فى مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩–١٢٩١م/٤٩٢–٦٩٠هـ)، تقديم: محمود سعيد عمران، دار المعرفة الجامعية، ط.الإسكندرية ١٩٨٩م، هامش٢، ص١٤٠–١٤١.

(٤٣) يوسف، أميرة مصطفى: ترجمة الحملة الصليبية الأولى والثانية من كتاب مملكة اللاتين في القدس لجين ريتشارد: الجزء الأول، عدد (١٥)، ج١، *مجلة كلية الآداب*، جامعة بنها، يناير ٢٠٠٦م، ص٢٠٥

(٤٤) بطرس الناسك: راهب وخطيب من مدينة أميان الفرنسية، قاد مجموعة من الفرنسيين

إلى أراضي الشرق الإسلامي سنة ١٠٩٦م/٤٨٩هـ فيما عُرف بالحملة الشعبية، وقد توفيّ سنة ١١١٥م. للمزيد عنه انظر: الشيخ، محمد محمد مرسي: "حملة بطرس الناسك الصليبية في ضوء كتابات أنّا كومنينا"، العدد (٢)، *مجلة كلية العلوم الاجتماعية*، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٩٧٨م، ص٣٠٠.

(٤٥) والتر المُفْلِس: أحد قادة الحملة الصليبية الشعبية التي أغارت على بلاد الشرق الإسلامي سنة ١٠٩٦م/٤٨٩هـ، استجابة لدعوة البابا أوربان الثاني سنة ١٠٩٥م/٤٨٨هـ في مؤتمر كليرمونت بفرنسا، والراجح أنه فرنسي ينتمي إلى مدينة تقع إلى الغرب من باريس وهي مدينة Boissy Sans Avoir ، وقد قُتِلَ في أكتوبر من سنة ١٠٩٦م/٤٨٩هـ. انظر: عوض، محمد مؤنس: معجم أعلام الحروب الصليبية، ص٤٦٣-٤٦٤.

(٤٦) قلج أرسلان: هو عز الدين قلج أرسلان الأول ابن سليمان الأول بن قتلمش مؤسس سلطنة سلاجقة الروم، وقد تصدى السلطان قلج أرسلان لحملة العامة ثم لحملة الأمراء، وكانت نهايته في معركة وقعت عند نهر الخابور في الثالث من يوليو سنة ١١٠٧م/٥٠١هـ. انظر: عوض، محمد مؤنس: معجم أعلام الحروب الصليبية، ص١١٦.

(٤٧) ريموندداجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص٧٨؛ ألبرت فون آخن: تاريخ الحملة الصليبية الأولى،ج١، ص٥١، ص٢٤-٢٦؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٤؛ الشيخ، محمد محمد مرسي: "حملة بطرس الناسك الصليبية"، ص٣٠٢-٣٠٣؛ رانسمان ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص٢٠١-٢٠٥؛ الدويكات، فؤاد عبدالرحيم: موقف السلطان قلج أرسلان من الحملة الصليبية الأولى دراسة في علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالحملة الأولى (٤٨٧-٥٠٠هـ/١٠٩٤-١١٠٧م)، العدد (٦٠)، *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، رجب ١٤٤٢هـ، ص٣١٩؛ ابن نصرة الله: الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص٨١.

(٤٨) ابن نصرة الله: الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص٨١.

(٤٩) بوهيموند الأول: هو أكبر أبناء روبرت جويسكارد Robert Guischard دوق كالابريا Calabria. ولد سنة ١٠٥٨م في جنوب إيطاليا. وقد شارك في الحملة الصليبية الأولى التي خرجت من الغرب الأوروبي سنة ١٠٩٦م، واشترك في حصار مدينة أنطاكية حتى تم الاستيلاء عليها بعد حصار دام تسعة أشهر، وأصبح أول حاكم صليبي لها. انظر:
Yewdale, Bohemond I, Prince of Antioch, (Amsterdam 1970),pp.9-51.

(٥٠) تانكريد: اسم تانكريد هو اسم استخدمه النورمان للمذكر وهو مكون من مقطعين Thank و Red، ويعني بالعربية سديد الرأي، أو صاحب المشورة، وينتسب تانكرد إلى عائلة نورماندية شهرية فأبوه هو المركيز أودو الطيب Odo Bonus، وأمه هي إيما Emma ابنة روبرت جويسكارد Robert Guiscard ، وأخت الأمير بوهيموند الأول. وقد شارك تانكرد في الحملة الصليبية الأولى مع أخيه وليم ضمن حملة خاله بوهيموند الأول. للمزيد عن تانكرد انظر: رادولف دي كان: أعمال تانكرد ملك صقلية في الحملة على بيت المقدس، ترجمة وتعليق: حسن عبدالوهاب حسين و طلعت عبدالرازاق زهران، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط.١، القاهرة ٢٠١٩م، ص ٥٣؛ السلامين، أديب موسى محمد: دور تنكريد في الحروب الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة مؤتة، عمان ٢٠١٦م، ص١٣ وما بعدها.

(٥١) ستيفن كونت بلوا: أحد قادة الحملة الصليبية الأولى، وقد ولد سنة ١٠٤٥م، وهو ابن ثيبود الثالث كونت بلوا وشامبني Thibaut III de Blois et Champagne. انظر: عوض، محمد مؤنس: معجم أعلام الحروب الصليبية، ص٤١٩.

(٥٢) رادولف دي كان: أعمال تانكرد، ص٨٢-٨٣؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج١، ص٢٢٣-٢٢٥.

(٥٣) أدهيمار لي بوي: يُعرف أيضًا بأدهيمار دي مونتيّ Adhemar de Monteil، ينحدر من عائلة نبيلة تُدعى فالنتينو Valentinos، كان فارسًا جيدًا تدرب على القتال، تدرج في المناصب الكنسية حتى وصل إلى رئاسة أسقفية لي بوي، وقد رافق أدهيمار الحملة الصليبية الأولى بصحبة الكونت ريموند عام ١٠٩٦م/٤٨٩هـ بعد أن عينّه البابا أوربان الثاني Urban II (١٠٨٨-١٠٩٩م) مندوبًا له، وقد توفيّ سنة ١٠٩٨م/٤٩١هـ أثناء حصار الصليبيين لمدينة أنطاكية. انظر: حمودي، إمام الشافعي محمد: "دور المندوب البابوي أدهيمار دي مونتيل في الحملة الصليبية الأولى"، العدد (٣٢)، ج٣، *مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط*- جامعة الأزهر ٢٠١٣م، ص١٤٩٩-١٥٠١.

(٥٤) البُجناك: قبيلة تركية من الأتراك الغز يُطلق عليها البتشناج Pechenegs . انظر: ريموندأجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، هامش ٢٢ ص٦٦.

(٥٥) ريموندأجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص٦٧.

(٥٦) مجهول: أعمال الفرنجة، ص٦١.

(٥٧) ريموندأجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص١٠٦.

(٥٨) مجهول: أعمال الفرنجة، ص٦١.
(٥٩) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج١، ص٣٨٥-٣٨٦.
(٦٠) غازي بن دانشمند: هو الابن الأكبر للأمير كمشتكين أحمد بن الدانشمند (٤٧٧-٤٩٩هـ/١٠٨٤-١١٠٥م) مؤسس الإمارة الدانشمندية بالأناضول، تولى الحكم بعد وفاة والده، وقد استغل غازي وفاة السلطان السلجوقي سُليمان بن قُتُلمش وحالة النزاع التي نشبت داخل البيت السلجوقي سنة ١٠٨٦م/ ٤٧٩هـ فقام بالتوسع في بلاد الأناضول على حساب الدولة السلجوقية. للمزيد عنه انظر:. انظر: المحيميد، علي بن صالح: الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، مؤسسة شباب الجامعة، ط.١، الإسكندرية ١٩٩٤م، ص٤٨ وما بعدها.
(٦١) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص١٨٣؛ عمران، محمود سعيد: القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين (٤٩٣-٥٣١هـ/١١٠٠-١١٣٧م)، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦م، ص١٠-١١.
(٦٢) ريتشارد السالرني: ولد حوالي سنة ١٠٦٠م، وهو الابن الأصغر لوليم صاحب سالرنو William of Salerno، وحفيد تانكريد دي أتوفيل Tancred de Hauteville، وهو ينتمي إلى أسرة أرستقراطية من النورمان وسالرنو الإيطالية، وقد شارك في الحملة الصليبية الأولى، وكان له دور في حصار مدينة أنطاكية. انظر: عوض، محمد مؤنس: معجم أعلام الحروب الصليبية، ص٤١٣.
(٦٣) عمران، محمود سعيد: القادة الصليبيون الأسرى، ص١١.
(٦٤) ألبرت فون آخن: تاريخه، ج٥١، ص١٨١.
(٦٥) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٣٨.
(٦٦) ألبرت فون آخن: تاريخه، ج٥١، ص١٨١.
(٦٧) فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي، ص١٥٠.
(٦٨) متىَّ الرَّهاوي: تاريخ متىَّ الرَّهاوي، ترجمة محمود محمد الرويضي و عبدالرحيم مصطفى، مؤسسة حمادة للدراسات والنشر والتوزيع، أربد ٢٠٠٩م، ص١٠٩.
(٦٩) فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي، ص١٥٠.
(٧٠) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٣٨.
(٧١) ألبرت فون آخن: تاريخه، ج٥١، ص١٨١؛ متى الرهاوي: تاريخه، ص١٠٩.
(٧٢) محمود سعيد عمران: القادة الصليبيون الأسرى، ص١٠-١١.

(٧٣) فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي، ص١٥٠.
(٧٤) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، هامش ٢١، ص١٨٣.
(٧٥) متى الرهاوي: تاريخه، ص١٠٩-١١٠؛ ميخائيل السرياني: تاريخه، ج٣، ص١٥٨؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص١٨٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٣٨.
ظل بوهيموند في الأسر طيلة أربع سنوات، ثم أُطلق سراحه مقابل فدية كبيرة دفعها للسلاجقة وذلك سنة ١١٠٤م/٤٩٧هـ. انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية،ج ٢، ص٢٤٠؛ متى الرهاوي، تاريخه، ص١٣٤؛ وانظر عمران: القادة الصليبيون الأسرى، ص ٢١-٢٢.
(٧٦) إسماعيل بن الدانشمند: هو الابن الثاني للأمير كمشتكين أحمد بن الدانشمند (٤٧٧-٤٩٩هـ/١٠٨٤-١١٠٥م) مؤسس الإمارة الدانشمندية بالأناضول، وقد حكم اسماعيل بعد وفاة والده إحدى القلاع الدانشمندية داخل الأناضول وعلى الأرجح أنها أماسيا. انظر: المحيميد، علي بن صالح: الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، ص٤٨.
(٧٧) عن الحملة اللمباردية انظر: أنَّا كومنين: ألكسياد، ص٤٤٠-٤٤٢؛ ألبرت فون آخن: تاريخه، ص٢٠٧-٢٠٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٣٨.
(٧٨) رايموند الصانجيلي: هو أحد قادة الحملة الصليبية الأولى، ولد حوالي سنة ١٠٤١م، وهو الابن الثاني لبونز الثاني كونت تولوز، والموديز دو لامارش Almodis de la Marche، وقد ورث رايموند قلعة سان جيل الواقعة على نهر الرون، شارك رايموند في الحملة الصليبية الأولى، وقد تولى كونتية طرابلس سنة ١١٠٢م، وظل حاكمًا لها حتى وفاته سنة ١١٠٥م. انظر: عوض، محمد مؤنس: معجم أعلام الحروب الصليبية، ص٤٠٥-٤٠٦.
(٧٩) أنَّا كومنين: ألكسياد، ص٤٤٠-٤٤١؛ ألبرت فون آخن: تاريخه، ص٢٠٧-٢٠٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٣٨؛ عمران، محمود سعيد: القادة الصليبيون الأسرى، ص١٩. قدّر ابن الأثير عدد الحملة اللمباردية بثلاثمائة ألف مقاتل، يترأسها سبعة زعماء، وهو عدد مبالغ فيه بطبيعة الحال، ولكنه يُشير إلى ضخامة الأعداد التي شاركت في تلك الحملة. انظر: ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٣٨.
(٨٠) أنَّا كومنين: ألكسياد، ص٤٤١.
(٨١) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٢١٤-٢١٥؛ متىَّ الرَّهاوي: تاريخه، ص١١٥.
عن تلك الإشكالية راجع: الربيعي، عبدالله بن عبدالرحمن: موقف الإمبراطورية البيزنطية من

قادة الحملات الصليبية (الأول، الثانية، الثالثة، الرابعة) ٤٩٠-٦٠٠هـ/١٠٩٥-١٢٠٤م، العدد (٣٦)، *مجلة جامعة الإمام*، شوال ١٤٢٢هـ،ص ٤٦٦-٤٦٧.

(٨٢) تاريخ متى الرهاوي، ص١١٥.

(٨٣) تاريخ ألبرت فون آخن، ج٥١، ص٢٠٩-٢١٠.

(٨٤) الحروب الصليبية، ج٢، ص٢١٥.

(٨٥) الكامل، ج٨، ص٤٣٨. وانظر: متى الرهاوي: تاريخه، ص١١٥-١١٦.

(٨٦) عمران: القادة الصليبيون الأسرى، ص١٩.

(٨٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٣٨؛ السرياني، ميخائيل: تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمه عن السريانية: مار غريغوريوس صليبا شمعون، تقديم: مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم، ٣ أجزاء، ط.١، حلب ١٩٩٦م، ج٣، ص١٥٨.

(٨٨) سُقْمان بن أُرْتُق: هو سقمان بن أرتق بن أكسب التركماني أخو الملك إيلغازي، من أمراء الأراتقة بديار بكر، تولى الحكم في صفر سنة ٤٩٨ هـ /١١٠٤م بعد أن أخضع لسلطته كلٌ من حصن كيفا ومدينة ماردين وخلاط بديار بكر، وقد لعب هذا الأمير دورًا كبيرًا في التصدي للصليبيين حتى وفاته سنة ١١٠٤م. انظر: حميدي، فتحي سالم: "الإمارات الأرتقية ومملكة جورجيا في عصر الحروب الصليبية (٤٦٥-٦٠٠هـ/١٠٧٢-١٢٠٠م"، مج٧، عدد (٣)، *مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية*، جامعة الموصل ٢٠٠٨م، ص٢٣٣.

(٨٩) شمس الدولة جكرمش: تولى أتابكية الموصل خلال الفترة من ١١٠٠ إلى ١١٠٦م، وكان له دور كبير في مواجهة الصليبيين. انظر: عوض، محمد مؤنس: معجم أعلام الحروب الصليبية، ص٨٣.

(٩٠) بلدوين الثاني: هو بلدوين دي بورج Baldwin de Bourg ابن هيوج الأول دي ريتيل Hugh I Count of Rethel من زوجته مليسيند ابنة بوشارد دي مونتييري Melisende de Monthléry، ولد سنة ١٠٦٠م بفرنسا، تولى حكم إمارة أنطاكية خلفًا لابن عمه بلدوين الأول، وبعد وفاة الأخير سنة ١١١٨م خلفه في حكم مملكة بيت المقدس وظل حاكمًا لها حتى وفاته سنة ١١٣١م. انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٣٦٦-٣٦٧. وللمزيد عنه انظر صفاء عثمان: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م)، ط. القاهرة ٢٠٠٨م.

(٩١) رادولف دي كان: أعمال تانكرد، ص٢٠٤-٢٠٥؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق،

ص١٤٣؛ العظيمي، محمد بن علي الحلبي: تاريخ حلب، تحقيق وتقديم: ابراهيم زعرور، ط.دمشق ١٩٨٤م ، ص٣٦١؛ متى الرهاوي: تاريخه، ص١٣٧–١٣٨؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ٢٤٧–٢٤٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٤٩٦؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق وتعليق: محمد أنس و كامل محمد الخراط، الرسالة العلمية، ط.١، بيروت ٢٠١٣م، ج١٩، ص٥٢٩؛ عمران: القادة الصليبيون الأسرى، ص٢٧.

اختلف المؤرخون حول موضع الكمين، فذكر ابن القلانسي وسبط بن الجوزي أن الكمين كان بمكان يُقال له "رأس العين"،[٩١]، بينما أشار ابن الأثير إلى أن موضع الكمين كان بالقرب من نهر البَلِيخ[٩١]، ووافقه في ذلك وليم الصوري[٩١]، أما متىّ الرَّهاوي فقد حدد مكان الكمين بمنطقة تسمى "أوزود"، تبعد مسيرة يومين عن مدينة حران، في حين حدد ألبرت فون آخن مكان الكمين بسهل قريب من مدينة الرَّقة[٩١]، بينما ذكر العظيمي أن الكمين كان بمنطقة تُعرف "ببرية القتَّار"[٩١]. راجع: ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٣؛ مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٢٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٤٩٦؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ٢٤٨–٢٤٩؛ ألبرت فون آخن: تاريخه، ج٥١، ص٢٤١؛ العظيمي: تاريخ حلب، ص٣٦١.

(٩٢) ألبرت فون آخن: تاريخه، ج٥١، ص٢٤٢؛ رادولف دي كان: أعمال تانكرد، ص٢٠٥–٢٠٦؛ متى الرهاوي: تاريخه، ص١٣٩؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢،ص ٢٥١؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٤٩٦–٤٩٧؛ عمران: القادة الصليبيون الأسرى، ص٢٩–٣٠.

(٩٣) ألبرت فون آخن: تاريخه، ج٥١، ص٢٤٢؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٣؛ العظيمي: تاريخ حلب، ص٣٦١ وانظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص ٢٥١.

(٩٤) متى الرهاوي: تاريخه، ص١٣٨–١٣٩.

(٩٥) العظيمي: تاريخ حلب، ص٣٦١؛ أعمال تانكرد، ص٢٠٥.

(٩٦) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٣؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص١٤٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٤٩٦–٤٩٧.

(٩٧) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ٢٥٢.

(٩٨) ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٣.

(٩٩) جيرفاس: هو جيرفاس دي بازوش Gervase de Bazoches، الابن الثاني لميلو Milo سيد بازوش في مقاطعة سواسون Soissons، وقد تم تعيينه حاكمًا على طبرية من جانب الملك بلدوين الأول كخليفة لهيو دي فوجومبرج Hugh de Fauguembergues في عام ١١٠٦م. انظر: عوض: معجم أعلام الحروب الصليبية، ص٣٩٧.

(١٠٠) الملك بلدوين الأول: أمير صليبي قدم من الغرب الأوروبي بصحبة أخويه جودفري البولوني وأستاس البولوني، شارك في الحملة الصليبية الأولى، أسس كونتية الرها شمال العراق، خلف أخيه جودفري في حكم مملكة بيت المقدس سنة ١١٠٠م، وظل حاكما للمملكة حتى وفاته سنة ١١١٨م. للمزيد عنه انظر: فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي، ص١٧٣؛ إمام، هنادي السيد محمود: مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م/٤٩٤-٥١٢هـ)، تقديم : محمد مؤنس عوض، دار العالم العربي، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص٣٥-٣٧.

(١٠١) ألبرت فون آخن: تاريخه، ج٥١، ص٢٧٥-٢٧٦؛ العظيمي: تاريخ حلب، ص٤٦٤.

حاول الأتراك المسلمين مساومة الملك بلدوين الأول على حرية جيرفاس، فطلبوا منه تسليم المدن الثلاث: عكا وحيفا وطبرية، مقابل حريته، لكن الملك بلدوين الأول رفض العرض مشيرا إلى أنه مستعد لدفع مائة ألف قطعة من الذهب للإفراج عنه، أما المدن فلا يستطيع دفعها إليهم حتى لو وقع أخوه وذوي أرحامه في الأسر على حد رواية ألبرت فون آخن. انظر: تاريخ ألبرت فون آخن، ج٥١، ص٢٧٦-٢٧٧.

(١٠٢) فوشيه: الاستيطان الصليبي، ص٢٢٠-٢٢١؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٢١.

(١٠٣) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٦٤٣؛ ميخائيل السرياني: تاريخه، ج٣، ص١٧٥.

(١٠٤) بَلك بن بهرام: هو الملك نجم الدين بن الأمير أرتق بن أكسب التركماني، صاحب ماردين، كان هو وأخوه الأمير سُقمان من أمراء تاج الدولة تُتش صاحب الشام، فأقطعهما القدس وبعض مدن الشام، وكان ذا شجاعة، ورأي، وهيبة وصيت، تصدى للصليبيين، ونجح في الاستيلاء على قلعة خرتبرت. عنه بالتفصيل انظر: ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٢٠٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٢١.

(١٠٥) جوسلين الثاني: أمير الرها خلال الفترة ١١٣١-١١٤٤م، وهو من أم أرمينية هي أخت ليون الأرميني، ويعد من الأمراء الذين ولدوا بالشرق، تزوج من بياتريس، أرملة

حاكم صهيون بالقرب من اللاذقية، وقد أنجب منها ولدًا هو جوسلين الثالث Joscelin III، وبنتين هما آجنيس Agnes وايزابيلا Ezabella. انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٣٩١.

(١٠٦) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ٣٢٧؛ متى الرهاوي: تاريخه، ص٢٢٣-٢٢٤. وانظر: ميخائيل السرياني: تاريخه، ج٣، ص١٨١.

(١٠٧) الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٨٠-١٨١.

(١٠٨) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٠٩؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٦٣-٢٦٤؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٢١١؛ متى الرهاوي: تاريخه، ص ٢٢٥-٢٢٦؛ ميخائيل السرياني: تاريخه، ج٣، ص١٨١. وانظر عمران: القادة الصليبيون الأسرى، ص٥٤-٥٥.

(١٠٩) حبشي، حسن: نور الدين والصليبيون، دار الفكر العربي، ط.القاهرة ١٩٤٨م، ص٢٠.

(١١٠) ذيل تاريخ دمشق، ص٢٠٩.

(١١١) تعرف بالعربية سَنْجَه وتعني النهر الأزرق، وهو نهر عظيم يجري إلى الشمال الغربي من مدينة سميساط، ويصب في نهر الفرات. انظر الرهاوي، تاريخه، هامش ٣، ص٢٢٥.

(١١٢) زبدة الحلب، ج٢، ص٢١١.

(١١٣) تاريخ متى الرهاوي، هامش ٣، ص٢٢٥.

(١١٤) تاريخ ميخائيل السرياني، ج٣، ص١٨١.

(١١٥) الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٦٣-٢٦٤.

(١١٦) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٦٣-٢٦٤.

(١١٧) تاج الملوك بوري: ولد عام ١٠٨٥م، وقد خلف والده ظهير الدين ضغتكين في حكم إمارة دمشق سنة ١١٢٨م، وظل حاكمًا لها حتى وفاته سنة ١١٣٢م. انظر: عوض، محمد مؤنس: معجم أعلام الحروب الصليبية، ص٥٩.

(١١٨) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص٦٩-٧٠.

(١١٩) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٢-٢١٤. وانظر المصدر نفسه، ص٢٢٥-٢٢٦.

(١٢٠) عماد الدين زنكي: ابن قسيم الدين آقسنقر أتابك الموصل. تولى عماد الدين زنكي

أتابكية الموصل بعد وفاة والده، واتخذها قاعدة للتوسع وتوحيد الجبهة الإسلامية في الفترة من (١١٢٨م/٥٢٢هـ- ١١٤٦م/٥٤١هـ). وقد كان شجاعًا شهمًا غيورًا على دينه، وقد ختم الله حياته بالشهادة في سبيله. انظر: العماد الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، ط.بيروت ١٩٨٠م، ص١٨٧.

(١٢١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٥٨-٢٥٩.

(١٢٢) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص١٣٨ وما بعدها.

(١٢٣) بونز: هو ابن برتراند التولوزي Bertrand de Toulouse (١١٠٨-١١١٣م) أمير طرابلس، وقد خلف والده سنة ١١١٣م، وظل حاكمًا لكونتية طرابلس حتى لقى مصرعه على يد المسلمين سنة ١١٣٧م. انظر: الجوهري، نهى فتحي: إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري، دار العالم العربي، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص٤٩-٥٠.

(١٢٤) فولك الأنجوي: كان فولك كونتًا لأنجو Anjou، ومين Main، وتورين Toren بفرنسا، انتقل إلى الشرق اللاتيني، وتزوج من الأميرة ميليسيند Melisende ابنة الملك بلدوين الثاني، وفى عام ١١٣١م تولى حكم مملكة بيت المقدس مشتركًا مع زوجته الملكة مليزند وهو فى الستين من عمره، وظل ملكًا للقدس حتى وفاته عام ١١٤٢م إثر سقوطه عن فرسه. انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص٨٩-٩٣، ٢١٤-٢١٦. ولمزيد من التفصيل عن الملك فولك انظر: علي، سرور علي عبد المنعم: السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوي (١١٣١-١١٤٣م/٥٢٦-٥٣٨هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات-جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م.

(١٢٥) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٥٨-٢٥٩؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية،ج٣، ص١٤٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٨٥-٨٦، ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢، ص٦٢٥-٦٢٦.

(١٢٦) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٦٢-٢٦٣.

(١٢٧) وهي القلعة المعروفة عند الصليبيين باسم مونتفورت Mons Ferrandus ، وقد اعتاد الصليبيون على اطلاق هذا الاسم على قلعة بَعرين، والقلعة تقع شمالي فلسطين على بعد حوالي عشرين كيلومترا شمالي شرق مدينة عكا على الضفة الغربية لنهر الجليل. انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، هامش ٣، ص١٤٩، وهامش ٢٩،

ص١٥٤؛ الفرّوجي، فتحية:"قلعة مونتفورت "القرين" الصليبية ٦٢٥-٦٦٩هـ/١٢٢٧-١٢٧١م: دراسة تاريخية أثرية"، مج١٠، عدد (٢)، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة الجزائر ديسمبر ٢٠١٩م، ص٢٥٢ وما بعدها.

(١٢٨) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص١٣٨-١٤٠.

(١٢٩) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص١٣٧-١٣٨.

(١٣٠) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٦٢؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص١٣٣؛ ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢، ص٢١١؛ ميخائيل السرياني: تاريخه، ج٣، ص٢١٨.

(١٣١) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص١٣٦.

(١٣٢) وليم الصوري الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٧٠-٢٧١.

(١٣٣) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٧٢-٢٧٣؛ وللمزيد انظر: ضبيع، صلاح: دور الألمان في الحروب الصليبية في بلاد الشام، المكتب العربي للمعارف، ط.١، القاهرة ٢٠٠٩م، ص١٢٨-١٣٠.

(١٣٤) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٧٦-٢٧٧.

(١٣٥) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٧٨.

(١٣٦) ابن الأثير الجزري: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبدالقادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ص١٦٩؛ زيان، آمال حامد: "الحيل الحربية"، ص١٢٩-١٣٠.

(١٣٧) نصرة الدين: هو الأخ الأصغر للسلطان نور الدين محمود، وكان حاكما لمنطقة ميران حتى وفاته سنة ٥٦٠هـ. انظر: سبط بن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٢١، ص٥٢.

(١٣٨) أبو شامة: الروضتين، ج١، ص٣٤٠؛ حبشي، حسن: نور الدين والصليبيون، ص٩٣.

(١٣٩) بلدوين الثالث: هو الابن الأكبر للملكة ميليسيند Melisende والملك فولك الأنجوي Fulk of Anjou، تولى الحكم تحت وصاية أمه الملكة، ثم انفرد بالحكم دونها. من أبرز انجازاته التي حققها ضد المسلمين استيلائه على مدينة عسقلان سنة ١١٥٣م/٥٤٨هـ. وفي عهده حدثت الحملة الصليبية الثانية التي انتهت بالفشل. توفي بلدوين الثالث في العاشر من فبراير سنة ١١٦٣م/٥٥٨هـ دون أن يخلف أبناء وخلفه في العرش أخوه

عموري الأول Amaury I كونت يافا وعسقلان. انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٣٦٨-٣٦٩. وللمزيد انظر: عبد اللطيف عبد الهادي: السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثالث ١١٤٦-١١٦٣م، رسالة ماجستير كلية الآداب – جامعة عين شمس، عام ١٩٩٠م.

(١٤٠) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٣٣٩.

(١٤١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٣٣٩؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص٤٠٩-٤١١؛ سميل: فن الحرب، ص١٩٥.

(١٤٢) رينو دى شاتيون: عُرف في المصادر العربية اسم "أرناط"، وهو مغامر صليبي، قَدِمَ من مقاطعة شاتيون Chatillon الواقعة شرق فرنسا بدافع الطمع والمغامرة، برز اسمه بعد أحداث الحملة الصليبية الثانية. في عام ١١٥٣م/٥٤٨هـ تزوج من الأميرة كونستانس Conestanc ابنة الملك بلدوين الثاني، والوصية على عرش ابنها الصغير بوهيمند الثالث، وقد جعل منه هذا الزواج أميرًا لأنطاكية، ثم دفعه طمعه لأن يتحرك عسكريًا لتوسيع دائرة نفوذه خارج إمارته، فقام ببعض التحركات ضد بعض القوى الإسلامية، أسفرت عن سقوطه أسيرًا في أيدي بعض جنود حلب عام ١١٦٠م/٥٥٥هـ، وأمضى في هذا الأسر مدة قاربت الستة عشر عامًا، ثم لم يلبث أن أُطلق سراحه، فعاد ليتزوج مرة أخرى من ستيفاني دي ميللي _أرملة ميلون دي بلانسي _ عام ١١٧٧م/٥٧٢هـ، وبموجب هذه الزيجة أسندت إليه إدارة إمارة الشوبك والكرك الواقعتين على طريق القوافل المتجهة من مصر إلى بلاد الحجاز، وكانت وفاته على يد صلاح الدين الأيوبي عقب معركة حِطِّين الحاسمة سنة ١١٨٧م/٥٨٣هـ. انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص٣٥٩؛ ج٤، ص٣٢٧-٣٢٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١١، ص١٣٢ ؛ وللمزيد عنه انظر: محمود رزق محمود: "العلاقة بين أرناط أمير الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى موقعة حِطِّين ١١٨٧م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب–جامعة عين شمس عام ١٩٧٧. وراجع أيضًا:

Gustave Schlumberger , Renaud de Chatillon, Prince d' Antioche , seigneur de la terre d'outre-Jourdain, Librairie Plon, (Paris, 1923),Vol. I, pp.115-134.

(١٤٣) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص٤٣٩-٤٤٠.

(١٤٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٠٨-٣٠٩.

(١٤٥) مرآة الزمان، ج٢١، ص٤٦؛ وانظر: زيان، آمال حامد: الحيل الحربية، ص١٤٠-١٤٢.

(١٤٦) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٤، ٣٢-٣٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٠٨-٣٠٩؛ زيان، آمال حامد: الحيل الحربية، ص١٤٠-١٤٢.
(١٤٧) الحروب الصليبية، ج٤، ص٣٢؛ زيان، آمال حامد: الحيل الحربية، ص١٤٣.
(١٤٨) حصن حارم: تقع مدينة حارم بين حلب وأنطاكية، وقد شُيد بها حصن شديد الحصانة تجاه أنطاكية، كان له دور مهم في الصراع الصليبي الإسلامي. للمزيد انظر: زيان، آمال حامد: "الحيل الحربية"، ص١٣٠ وما بعدها؛ حسب، فاطمة أحمد محمود: مدينة حارم ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي خلال عصر الدولتين النورية والصلاحية في الفترة من (٥٤٦-٥٨٩هـ/١١٥١-١١٩٣م)، العدد (٣٩)، *حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق*، جامعة الأزهر، د.ت، ص١٩٢٥ وما بعدها.
(١٤٩) أبو شامة: الروضتين، ج١، ص٣٧٦؛ حبشي، حسن: نور الدين والصليبيون، ص٩٤.
(١٥٠) مجهول: الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريشارد) ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ج١، ص٤٩.
(١٥١) حسين، محسن محمد: الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص١٢١-١٢٢؛ حماد، فتحي أحمد محمد: العيون والجواسيس في بلاد الشام، ص٦١-٦١.
(١٥٢) مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج١، ص٧٤-٧٦؛ ضبيع، صلاح: دور الألمان في الحروب الصليبية، ص٢٠٤-٢٠٧.
(١٥٣) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص١٥٩-١٦٠. وانظر: أبو شامه: الروضتين، تحقيق: الزيبق، ج٤، ص٧٣-٧٦؛ سعداوي نظير حسان: التاريخ الحربي، ص٢٢١-٢٢٢؛ حسين، محسن محمد: الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص١٢٢؛ حماد، فتحي أحمد محمد: العيون والجواسيس في بلاد الشام، ص٦١.
(١٥٤) حسين، محسن محمد: الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص١٢١.
(١٥٥) ابن شداد: النوادر، ص١٦٩؛ أبو شامه: الروضتين، ج٤، ص٨٢.
(١٥٦) سيف الدين يازكج: كان مقدم فرقة المماليك الأسدية في عهد صلاح الدين الأيوبي، التي كان قد أسسها أسد الدين شيركوه من قبل. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص١٥٧.
(١٥٧) ابن شداد: النوادر، ص٢٩٨-٣٠٠؛ أبو شامه: الروضتين، ج٤، ص٢٤١؛ حسين، محسن محمد: الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص١٢٣؛ حماد، فتحي أحمد

محمد: العيون والجواسيس في بلاد الشام، ص٦٣.

(١٥٨) ابن شداد: النوادر، ص٢٢٨-٢٢٩؛ أبو شامه: الروضتين، ج٤، ص٢٣٠-٢٣١؛ حسين، محسن محمد: الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص١٢٤؛ حماد، فتحي أحمد محمد: العيون والجواسيس في بلاد الشام، ص٦٤.

(159)Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion, Trans. Hubert (New York 1934), p.179.

سينليس Senlis كان يعمل كبيرًا للخدم في القصر الملكي إبان حكم الملكة إيزابيلا لبيت المقدس الأسمية (١١٩٠-١٢٠٥م). انظر: المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج١، ص١٦٠.

(١٦٠) ريتشارد قلب الأسد: هو الابن الثاني للملك هنري الثاني Henry II (١١٥٤-١١٨٩م) ملك انجلترا، وإليانور الأكويتانية Eleanor of Aquitaine، شارك في الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م)، واستطاع مع قواته الاستيلاء على مدينة عكا، وبرغم ما أحرزه من نصر على صلاح الدين في معركة أرسوف في سبتمبر سنة ١١٩١م، إلا أنه لم ينجح في انتزاع مملكة بيت المقدس من أيدي المسلمين، واضطر إلى عقد معاهدة الرملة مع صلاح الدين، ثم أبحر بعدها عائدًا إلى انجلترا. انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحرب الصليبية، ص٤١٤-٤١٥. وللمزيد عنه انظر: زينب عبدالقوي: الإنجليز والحروب الصليبية (١١٨٩-١٢٩١م)، القاهرة ١٩٩٦م؛ علي رمضان فاضل: ريتشارد قلب الأسد فارس أوروبا الأول، ط.الجيزة ٢٠١١م. وللمزيد عنه انظر أيضًا:

Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion, Trans. Hubert (New York 1934).

(161)Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion, pp.282-283.

(١٦٢) ابن شداد: النوادر، ص٣١٦؛ فواز: دور اليزك في جيش صلاح الدين الأيوبي، ص٧٩.

(١٦٣) ابن شداد: النوادر، ص٣١٧.

(١٦٤) ابن شداد: النوادر، ص٣٢٥.

(١٦٥) محمد، يوسف بن نصرة الله: الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص٨١.

(١٦٦) سميل: فن الحرب، ص١٣٤ ؛ بن مارس، كمال: أساليب القتال الإسلامية-الصليبية، ص٩٢.

(١٦٧) هو الأمير القاضي أبو محمد عبيد الله بن منصور بن صليحة، كان والده رئيس

القضاء في جبلة عندما كانت جبلة تحت السيطرة البيزنطية، وظل قاضيا لجبلة بعد انتقال حكم المدينة لجلال الملك أبي الحسن علي بن عمار ،صاحب طرابلس، فلما توفى منصور تولى ابنه ابن صليحه القضاء خلفًا له. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٤٦.

(١٦٨) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٤٧؛ محمد، يوسف بن نصرة الله: الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص٨٣.

(١٦٩) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٣؛ متى الرهاوي: تاريخه، ص١٣٨؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ٢٤٧-٢٤٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٤٩٦؛ عمران: القادة الصليبيون الأسرى، ص٢٧.

(١٧٠) ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٣.

(١٧١) في هذا الكمين تظاهر جزء من الجيش الإسلامي بالهزيمة، فارًا من أرض المعركة، فلحقهم الصليبيون مسافة فرسخين (ما يقرب من أحد عشر كيلومتر)، وهنا خرجت بقية القوات الإسلامية من مكمنها وانقضوا على الجيش الصليبي الذي فوجىء بهم وطبقا لما ورد في المصادر المعاصرة بشقيها الإسلامي والصليبي؛ فقد حقق الكمين أهدافه كاملة، حيث أدى إلى مقتل عدد كبير من الصليبيين، قدّره متى الرهاوي بثلاثين ألفًا، كما وقع في الأسر عدد كبير من الصليبيين على رأسهم كل من بلدوين لي بورج، وجوسلين حاكم تل باشر، وبطريرك الرها، بينما فر بصعوبة كل من بوهيموند الأول وابن أخته تانكريد وبطريركا أنطاكية وبيت المقدس، فضلًا عن غنيمة كبرى غنمها المسلمون. انظر: ألبرت فون آخن: تاريخه، ج٥١، ص٢٤٢؛ رادولف دي كان: أعمال تانكرد، ص٢٠٤-٢٠٥؛ متى الرهاوي: تاريخه، ص١٣٨-١٣٩؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٣؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص١٤٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٤٩٦. وانظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٥٠-٢٥١؛ عمران: القادة الصليبيون الأسرى، ص٢٩-٣٠.

(١٧٢) ألبرت فون آخن: تاريخه، ج٥١، ص٢٧٥-٢٧٦؛ العظيمي: تاريخ حلب، ص٣٦٤.

(١٧٣) جسر الصِّنَّبْرَة: الصنبرة موضع بالأردن، مقابل لعقبة أفيق، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال، ويقع جسر الصنبرة جنوبي غربي بحيرة طبرية. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٣، ص٤٢٥؛ الحربي، عائشة بنت مرشود حميد: معركة الصنبرة أحداث

ونتائج ٥٠٧هـ/١١١٣م، مجلة المؤرخ العربي، عدد (٢١)، القاهرة، أكتوبر ٢٠١٣م، ص٢١٤.

وعن معركة الصِّنَّبْرَة بالتفصيل انظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٤؛ فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي، ص٢٤٨؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٠١؛ الجميلي، رشيد حميد حسن: الأمير مودود صاحب الموصل والحروب الصليبية، مج١، عدد (١٤)، ص٤٧٢-٣٧٣؛ رمضان، عبدالغني إبراهيم: شرف الدين مودود أتابك الموصل والجزيرة ٥٠١-٥٠٧هـ/١١٠٨-١١١٣م، مجلة كلية الآداب، كلية الآداب-جامعة الرياض، مج٤، ١٩٧٦م، ص١٤٣ وما بعدها؛ صبرة، عفاف سيد: الأمير مودود بن التونتكين أتابك الموصل ودوره في حركة الجهاد الإسلامي، دارة الملك عبدالعزيز، الدارة، مج١٢، عدد (٢)، سبتمبر ١٩٨٦م، ص١٢٧-١٢٩؛ الحربي، عائشة بنت مرشود حميد: معركة الصنبرة أحداث ونتائج، ص٢٠٩-٢٢٤.

(١٧٤) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٠٠-٣٠١.

(١٧٥) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٠١-٣٠٢.

(١٧٦) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٤، ٣٢-٣٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٣٠٨-٣٠٩؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٢١، ص٤٥-٤٦؛ زيان، آمال حامد: الحيل الحربية، ص١٤٠-١٤٢.

(١٧٧) البابين: مكان بصعيد مصر، يبعد عشرة أميال عن المنيا، ومن ثم عرفت هذه البقعة أحيانا بوقعة المنيا. انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٤، ص٦٣.

(١٧٨) عموري الأول: هو الابن الثاني للملك فولك، ولد عام ١١٣٥م/٥٢٩-٥٣٠هـ تولى كونتية يافا وعسقلان عام ١١٤٥م/٥٤٠هـ فى عهد أخيه الأكبر الملك بلدوين، وظل فى منصبه حتى وفاة أخيه، فأل إليه عرش القدس بحكم الوراثة عام ١١٦٣م وظل فيه حتى وفاته عام ١١٧٤م/٥٧٠هـ. عنه بالتفصيل انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٤، ص١٦-١٨؛ سليمان، حجازي عبد المنعم: السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس عهد الملك عموري الأول (١١٦٣-١١٧٤م/٥٥٨-٥٦٩هـ)، دار الآفاق العربية، ط.القاهرة ٢٠١٤م؛ ص١١٦.

(١٧٩) عن تفاصيل تعداد الجيشين الإسلامي والصليبي، وتفوق الجيش الصليبي انظر: إسكندر، فايز نجيب: الصليبيون والفاطميون والزنكيون في معركة البابين (١٨ مارس سنة ١١٦٧م/٢٥ جمادى الأولى سنة ٥٦٢هـ)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج٤٨،

ربيع ٢٠٠٣م، ص٩٦-٩٩.

(١٨٠) هيو القيصري: أمير صليبي حكم مدينة قيسارية خلال الفترة الممتدة من ١١٥٤م وحتى ١١٦٨م. انظر: عوض، معجم أعلام الحروب الصليبية، ص٤٥٧.

(١٨١) رالف: أو رادولف، أسقف بيت لحم خلال الفترة من ١١٥٦م/٥٥١هـ إلى ١١٧٤م/٥٧٠هـ. انظر: البيشاوي، سعيد عبدالله: الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ)، دار الشيماء، ط.٢، رام الله ٢٠١٦م، هامش ٢٥٩، ص٢٧٥.

(١٨٢) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٤، ص٦٣-٦٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٢٨-٣٢٧؛ وانظر أيضا ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص١٣٢-١٣٣؛ ابن شداد: النوادر، ص٧٦-٨٧؛ أبو شامه: الروضتين، تحقيق: الزيبق، ج٢،ص١٣؛ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني أيوبي، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٣م، ج١، ص١٥٠-١٥١؛ حبشي، حسن: نور الدين والصليبيون، ص١١٤-١١٥؛ إسكندر، فايز نجيب: الصليبيون والفاطميون والزنكيون في معركة البابين، ص١٠٠-١٠٤.

(١٨٣) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص١٥٩-١٦٠. وانظر: أبو شامة: الروضتين، تحقيق: الزيبق، ج٣، ص٧٣-٧٦؛ سعداوي، نظير حسان: التاريخ الحربي، ص٢٢١-٢٢٢؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص١٩١؛

(١٨٤) سميل: فن الحرب، ص١٣٤-١٣٥؛ بن مارس، كمال: أساليب القتال الإسلامية-الصليبية، ص٩١.

(١٨٥) ريمونداجيل: تاريخ الفرنجة، ص٨٧-٨٨.

(١٨٦) ريمونداجيل: تاريخ الفرنجة، ص٨٧-٨٨.

(١٨٧) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج١، ص٢٦٧.

(١٨٨) رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ ص٣٧٩ ؛ إبراهيم خميس: الحيل، ص١٣٠ ؛ محمد، يوسف بن نصرة الله: الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص٨٢.

ملطية: مدينة تركية شرق هضبة الأناضول، ذكرها ياقوت الحموي بأنها من بلاد الروم، تتاخم بلاد الشام. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٦٣٤.

(١٨٩) محمد، يوسف بن نصرة الله: الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص٨٢.

(١٩٠) فوشيه الشارتري: الاستيطان، هامش ١، ص٢١٤؛ متى الرهاوي: تاريخه،

ص١٦٧-١٧٠؛ سميل: فن الحرب، ص١٣٤.

(١٩١) ريمونداجيل: تاريخ الفرنجة، ص٦٧.

(١٩٢) وليم الصوري الحروب الصليبية، ج١، ص٣١١-٣١٢.

(١٩٣) وليم الصوري الحروب الصليبية، ج١، ص٣١٢-٣١٥.

(١٩٤) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج١، ص٢٥٩-٢٦٠.

(١٩٥) فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي، ص١٥٥.

(١٩٦) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٨-١٣٩؛ فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي، ص١٥٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٣٥٧.

(١٩٧) فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي، ص١٥٦؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٠١.

(١٩٨) وليم الصوري الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٠٣.

(١٩٩) فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي، ص١١٠.

(٢٠٠) المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة، ص٥٠-٥١.

(٢٠١) رادولف أوف كان: أعمال تانكرد، ص٩٠.

(٢٠٢) سميل: فن الحرب، ص ٣٤٢-٣٤٣؛ بن مارس، كمال: أساليب القتال الإسلامية-الصليبية، ص٩٦.

(٢٠٣) رمضان، أحمد: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ط.القاهرة ١٩٧٧م، ص٣٢٨-٣٢٩؛ بن مارس، كمال: أساليب القتال الإسلامية-الصليبية، ص٩٦.

(٢٠٤) وليم الصوري الحروب الصليبية، ج١، ص٣١٧-٣١٩.

(٢٠٥) سميل: فن الحرب، ص ٣٤٢؛ رمضان، أحمد: المجتمع الإسلامي، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٢٠٦) سميل: فن الحرب، ص٢٥٤؛ رمضان، أحمد: المجتمع الإسلامي، ص٣٢٨.

(٢٠٧) ريمونداجيل: تاريخ الفرنجة، ص١٨٢-١٨٣.

(٢٠٨) سميل: فن الحرب، ص٢٥٤.

(٢٠٩) مجهول: أعمال الفرنجة، ص٥٣.

(٢١٠) ريمونداجيل: تاريخ الفرنجة، ص١٠٥؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج١، ص٣٢٦-٣٢٨.

(٢١١) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص٤٤٨.
(٢١٢) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص٣٣٠.
(٢١٣) المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة، ص٥٨-٥٩.
(٢١٤) فوشيه: الاستيطان الصليبي، ص١٠٧.
(٢١٥) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص ٤٣-٤٤.
(٢١٦) رادولف دي كان: أعمال تانكرد، ص٩٠.
(٢١٧) وليم الصوري: الحروب الصليبية،ج٢، ص٢٠٨
(٢١٨) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص١٨٧.
(٢١٩) وليم الصوري: الحروب الصليبية،ج٣، ص٣٣١.